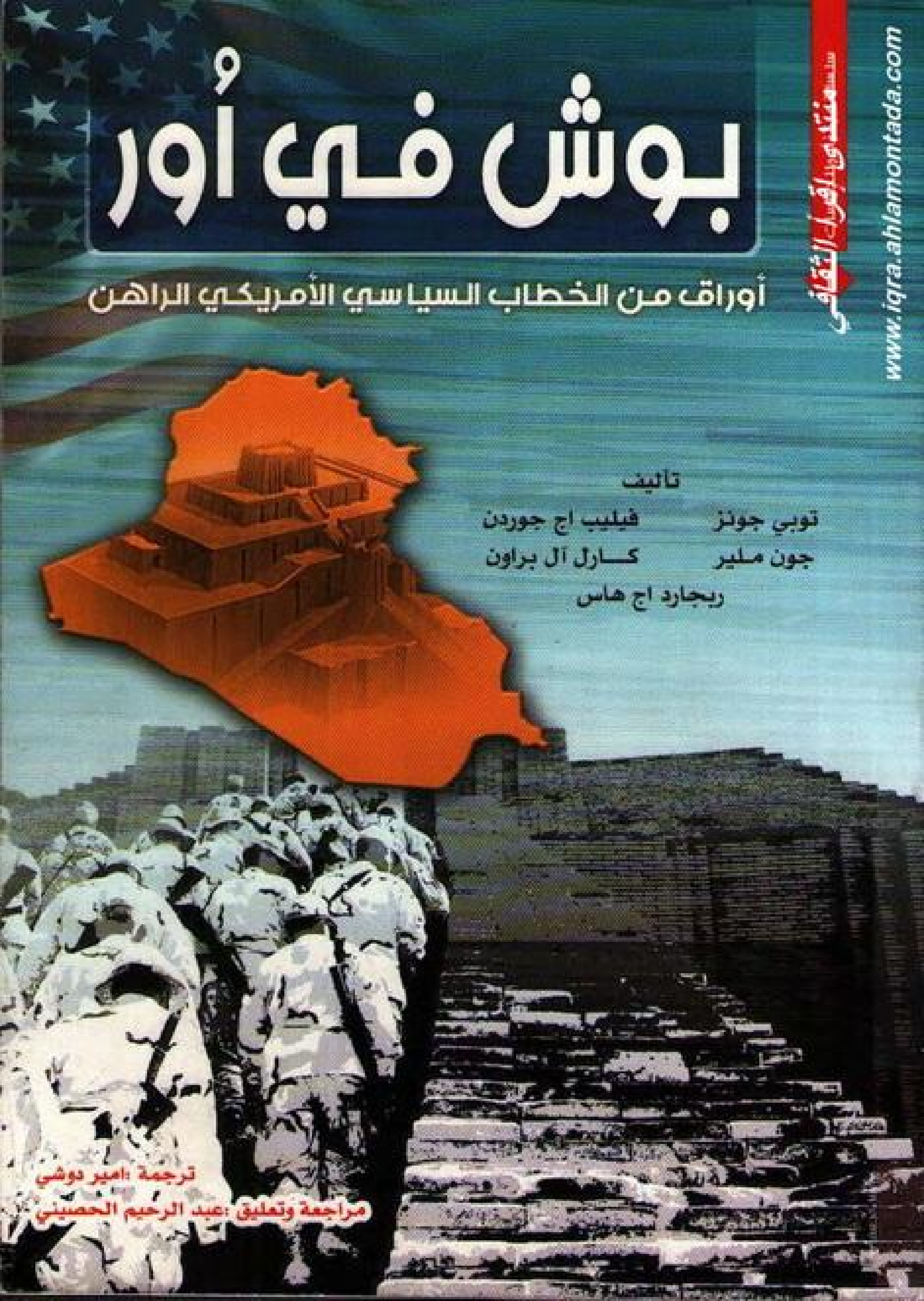


بوش في أُور
أوراق من الخطاب السياسي الأمريكي الراهن
تأليف
توبي جونز
فيليب اج جوردن
جون ملير
كارل آل براون
ريجارد اج هاس
ترجمة :امير دوشي
مراجعة وتعليق :عبد الرحيم الحصيني
منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

بوش في أُور !

بوش في أُور!

تأليف:

توني جونز فيليب أ ج جوردن

جـون ميلر كارل أل براون

ريجارد ا ج هاس

ترجمة: امير دوشي

مراجعة وتعليق: عبد الرحيم احمد الحصيني

مركز أور للدراسات / 2007

■ سلسلة مركز أور للدراسات
اسم الكتاب : بوش في أور
المؤلّف : توني جونز وآخرون
المترجم : أمير دوشي
مراجعة وتعليق : عبد الرحيم أحمد الحسيّني
الطبعة الاولى : ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م
الإخراج الفنّي : محمّد صادق الناصري
تصميم الغلاف : علاء الجعفري



مركز أور للدراسات
E-mail: ourledrasat@yahoo.com

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما يجري في العراق اليوم ليس عفوياً ولا من باب الأقدار والحظوظ والمصادفات ولم يكن غزو العراق والإطاحة بصدام جاء من قبيل التقرّب إلى الله سبحانه وإنقاذ المستضعفين، فكما أنّ الكون في حركته خاضع لقانون العلّية فكذا المجتمع خاضع هو الآخر لنفس القانون فما يجري نتيجة لمخطّط سابق مُهّد له بالإضافة إلى واقع تاريخي شكّل أرضية لإنتاج هذه الأحداث مع دخول إرادة الإنسان فيها، إذن؛ ما يحدث يمثّل حلقة متأثّرة بالماضي وتدخل الإرادة المخطّطة. هذا من جهة ومن جهة أخرى لايمكن فصل الأحداث في الداخل العراقي عن حركة العالم السياسي والإقليمي في الخارج فهناك مصالح وتحدّيات، ثم لكلّ دول الجوار أطماع ومصالح قد تتّفق أحياناً وقد تختلف الواحدة عن الأخرى فما يفكّر فيه السوري غير ما يفكر فيه الأُردني وهذه النوايا تفرز إرادتها على أرض الواقع العراقي بكل تأكيد بالإضافة إلى الحركات المدعومة من الخارج فكل يسعىٰ لتحقيق أهدافه سواء كانت طائفية أو مذهبية أو إرهابية مدعومة أو وطنية...

ثم الغرب من جهته خطّط وما زال يخطّط لمصالحه وقد دخل في أدقّ التفصيلات في الساحة العراقية لأنّه سيّد المبادرة فتمنحه أن يتحرّك بروح

مسؤولة ويتابع ما يستجد ويغير من سياسته يومياً كلّ ذلك من أجل تحقيق أهدافه الكبرى المسماة بالشرق الأوسط الجديد فالذي أُريده من هذا الكلام والعرض السريع للتحدّيات المتشابكة في المشهد العراقي إذا خُليت وحالها بمعنى أن يتحرك كلّ مركز للقوّة إلى حيث يريد بلا رادع هذا التدافع المرير والظالم الذي يصور لنا كم هو حجم المأساة الإنسانية ومستوى ما وصل إليه الطغيان الانساني أقول إذا تُرك اللاعبون في الساحة العراقية بهذا اللون من العنجهية من المستبعد أن يتكّهن أحد بمستقبل العراق ولكن مسؤولية تغيير ما يجري أو الحدّ منه هو وقوف أبنائه المحرومين والوطنيين المخلصين بوجه تلك المخطّطات.

وعلى الشعب العراقي الذي زادته المحن وعياً إضافياً وعرف عدوه من صديقه وأدرك عمق ما يفكّر به الآخر ولم يكن الوعي إستثنائياً وإنّما طال الجماهير كلها، ولمّا سلمنا بأنّ ما يدور في العراق خاضع لمخطط مدروس فعلى أبناء الأمة المخلصين أن يتحركوا بدقة لدراسة التحديات وخلفياتها التي تُريد للعراق أن يكون عراقاً آخر وإستئصالها بواسطة إيجاد خطوات فعلية تهيىء لمستقبل أفضل، وطبيعي أن الثورات والنهضات التي حدثت في العالم كان قد سبقها فكرٌ وثقافةٌ، فالإصلاح والتغيير الإقتصادي والأمني والسياسي والعسكري منوط بالوعي الثقافي، ولابد لنا من الرجوع للذات وللحضارة وعمقها فأمّة بلا قيم، وبلا ثوابت، وبلا تاريخ، فهذا يعني سنحصل على أمّة بلا مستقبل.

لايصلح عراق اليوم إلا بالرجوع لقيمنا والإحتفاظ بهويّتنا والتحرّك نحو هدف واضح يؤمّن إستقلالنا وحريّتنا، يأتي الإطلاع على طريقة ومنهج الآخر في التفكير والتخطيط كأحد المهام التي يجب الوعي بها، فإذا تبلور الهدف الذي

نتحرك نحوه، وأدركنا من جهة ما يريده الآخرون منا نكون قد وضعنا أقدامنا نحو المستقبل الذي نطمح إليه وهذه العملية لايقوى عليها الجهد الفردي وإنّما تحتاج إلى جهود متواصلة وإيجاد نهضة وتيار يشكّل مرجعاً للنهضة المطلوبة. الظرف الذي نعيشه، فيه ما يؤهله لقيام نهضة تكشف عن طاقاتنا ومواردنا وعناصر القوّة فينا ومعالجة مواطن الضعف لدينا.

وإنطلاقاً من هذا التأسيس إرتأينا أن نقدم لك مجموعة من الدراسات والأبحاث بأقلام غربية تكشف لك طريقة التفكير والأهداف التي تحرّك الباحث الغربي وما هي الرؤى والتصورات والمعالم التي بواسطتها يحلّل الحدث وكيف يوظّفه لمصالحه المركزية.

نراه مثلاً حينما يدرس النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي يدرسها في عدد من الجوانب ويدخل في أدقّ تفصيلاتها ويشبعها بالدراسة والتحليل بهدف التعامل معها بحكمة وعقل فيما إذا كان بالإمكان توظيفها لمصالحه أو إذا كانت الظاهرة عصيّة إستوعبها، بطريق آخر فنرى في طيّات الكتاب حين يدرس الباحث الغربي ما يسمّى بالإسلام السياسي أو تنامي المدّ الإسلامي فيقول: الحكومات المحلية ضعيفة أمام قوّة المدّ الإسلامي الصاعد بدليل أنّها أي الحكومات تخشى الحركات الإسلامية لذا تلجأ إلى زرع الفتن فيما بينها وهذا ما حدث في المغرب على سبيل المثال بين جماعة العدل والإحسان وجماعة العدالة والنهضة وفي مصر ما يحدث بين فصائل الأخوان المسلمين ويستنتج مرة أخرى قوة الحركات الإسلامية من خوف الأحزاب العلمانية منها كما حدث في الجزائر فالحزب الحاكم رفض الإنتخابات التي فازت بها جبهة الإنقاذ بذريعة أن الإسلامي إذا فاز وإستلم السلطة لا يسلّمها غداً.

ويدرس الحركات الإسلامية حينما تبتعد عن السلطة ليقول أنّها أقوى أو

تكون أقوى ممّا عليه في السلطة لأنها تمتلك عمقاً جماهيرياً وتنظيماً عفوياً في المساجد والجمع يجعلها مؤثرة في الشارع ومعرقلة لمخططات خصومها، ويستنتج أيضاً من أن كثيراً من الدكتاتوريات إنسحبت أمام الحركات الإسلامية مثل سوهارتو الرئيس الأندنوسي، وضياء الحق في باكستان، ورئيس وزرائه ذو الفقار علي بوتو.

والبعض الآخر إستجاب لمطالب الحركات الإسلامية حيث غيّر الدساتير والقوانين لصالح الإسلام فأجرى بعض التعديلات وتهدف الحركات الإسلامية إلى وجود حكومات إسلامية ولو على المدى البعيد ولهذا يصرّح أحدهم مثل اوموند شاهين بالقول من أن الإسلام السياسي موجة المستقبل.

العقل السياسي الأمريكي يعمل بمعايير مزدوجة فلا توجد ثوابت ومقدّسات تلزمه وإنّما معاييره متناقضة فالمصلحة الأمريكية هي المعيار المتحرك.

يقول الكاتب الأمريكي مارك في مقال نُشرله في موقع **«أون لاين جورنال»**: نحن نعيش في حقبة التاريخ المزيف نجد وسائل الإعلام الأمريكي تحاول جعل عقول بديلة تفكر بالنيابة عن عقولهم الحقيقية ومثال لذلك أحداث ١١ سبتمبر تعرض وسائل الإعلام أن الإسلام عدو الحضارة الغربية بعد أن قرروا أن يكون الإسلام والمسلمين هما وسيلتهم لتنفيذ أهدافهم من تغييب عقول الشعب الأمريكي فوسائل الإعلام والحكومة تضع أمامنا يومياً وجبة كاملة من الأكاذيب عن الديانة الإسلامية وتاريخ علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية، وأن الديانة الإسلامية تحضُّ على كراهية باقي الأديان وبخاصة المسيحية واليهودية.

فالحرب على العراق لم تنته بل بدأت لتوها وحتى إذا كانت قد انتهت فإن

مجرد عدم الرغبة في معرفة الحقائق هو ما يسعى إليه مروجو الدعايات الفاسدة لهدم هذه الأمة الأمريكية فهجومنا على دولة أخرى وتدميرها لسبب مزيف مثل العداء الكاذب بين الإسلام والمسيحية لايجعل فقط الحقبة الزمنية تاريخاً مزيفاً بل تاريخاً من القمامة.

وسترى في ثنايا الكتاب المصطلح الذي ابتدعته السياسة الأمريكية **«الإسلام السياسي»** وطبيعي أن الإسلام يرفض هذه المسميات لأن الإسلام لايقبل التجزئة والنبي ﷺ قد شكل في المدينة بدايات الدولة وكان هو الحاكم والنبي فيها،كما يرى المراقب بروز مصطلحات أخرى بخصوص الحركة الإسلامية مثل الإسلام الأصولي، وبعد ذلك الإسلام الراديكالي، الإسلاموية، التطرف الإسلامي، أو الإرهاب الإسلامي، وهذا شبيه بما ينعت به المذهب الشيعي بالصفوية وقبل ذلك بالرافضة وأخرى بالزنادقة.

ومن الأمور التي تكشف عن مسلسل الإعصار الأمريكي الهائج قبل أحداث ١١ سبتمبر وخوفه من الإسلام هي أنّه عقد في سبتمبر ١٩٩٤ مؤتمراً عالمياً في واشنطن بأسم خطر الإسلام الأصولي على شمال أفريقيا وكان المؤتمر عن السودان وما وصفه المؤتمر بمحاولة إيران نشر الثورة الإسلامية في أفريقيا عن طريق السودان.

ويقول بيتر ديفيد ان أحداث سبتمبر وضعت الإسلام موضع الخصم مع الغرب غير أن الحرب تجري الآن في داخل العالم الإسلامي ـ طبعا كما يريدون هم ـ ويقولون أن الحرب قادمة.

ونجد في طيّات الكتاب أقلاماً تحاول عرض الحالة السياسية بشكل مبعثر يبعث على الريبة والشكوك حيث تطرح كون الإسلام عدوّاً للغرب لا يمتلك البرنامج الحضاري كباقي الشعوب ويمتاز العقل الإسلامي بالجمود والتحجُّر

والوقوف على النص ويستبعد العقل ويكره الحياة والتقدّم ويحبّ سفك الدماء، والدليل هي القاعدة وقائدها بن لادن.

هذا الإسلام يجعل الإنسان الغربي نافراً منه بالوقت نفسه يطرح الغرب إسلاماً آخر مقابلاً له، ذلك هو الإسلام الليبرالي الخليط بين الفكر الغربي والإسلامي، إسلام توليفي مدعوم كما هو الإسلام السعودي بهدف النِفط والسياسة، كلّ ذلك خوفاً من الإسلام المعتدل فيحاول تشويهه وإبعاده عن الساحة وإتهامه بالإرهاب والتبعية للغير.

يتقدّم مركز أور للدراسات في أول عدد له متضمّناً عددا من المقالات بأقلام غربية إختارها وترجمها الأستاذ أمير دوشي نأمل من الباحثين وأصحاب القلم والمفكّرين رفد مركزنا بالدراسات التي تهمّ أحداث الساعة وتهييء لنهضة شاملة تؤسّس لبنية تحتية تمدّ الباحث والدارس بالوعي والمعلومة الرقمية حتى يكون حاضرنا بأيدينا وبالتالي نستطيع أن نحدّد مستقبلنا أُكرر وهذا لايمكن إيجاده إلاّ بتشخيص محيطنا السياسي والثقافي بكل تفاصيله.

والحمد لله رب العالمين..

عبد الرحيم الحصيني

رئيس مركز أور للدراسات

الإسلام والغرب

[1]

بإسم الإسلام

يذهب **«بيتر ديفيد»** إلى أن أحداث سبتمبر قد وضعت الإسلام موضع الخصم مع الغرب. غير أن الحرب الرئيسية تجري الآن في داخل العالم الإسلامي[1]. **«يقولون: الحرب قادمة»** كان ذلك العنوان الرئيسي في أعلى الصفحة لآخر استطلاع أجرته الايكونومست عن الإسلام، في آب ١٩٩٤، واستنتجنا حينها إنّ الصراع بين الإسلام و الغرب غير ممكن بأي حال من الأحوال[2]، لكن كاتب الاستطلاع لم يكن مقتنعاً بأنّ ذلك أمراً حتمياً. إذ كان هناك احتمال آخر هو أن يتحول الغضب وخيبة الأمل التي بدا أنّها تعمّ العالم الإسلامي في التسعينات إلى اتجاه اكثر اعتدالاً. أولَمْ تكن مشابهة لخيبة الأمل التي بدت تعمّ المسيحية في القرن السادس عشر والتي قادت بالتالي عبر حركة الإصلاح إلى تطورات العالم الحديث؟

إن سقوط برجي التجارة قبل سنتين يقدّم للبعض شاهد إثبات دراماتيكي

---

١ ـ على فرض قبول أحداث ١١ سبتمبر كونها من تخطيط إسلامي.

٢ ـ ادرك الغرب أنَّ الخصم الحقيقي والمستقبلي هو العالم الإسلامي

بأنّ استشراف التسعينيات اليائس كان صواباً. وما ذلك الهجوم إذن[١]، إن لم يكن بداية حرب جديدة بين الحضارات. العديد من المسلمين لا يودّون إلحاق صفة الإرهاب الإسلامي بجرائم القتل الجماعي التي اقترفها أسامة بن لادن وجماعة القاعدة[٢]. فالإسلام، كما يقولون، هو دين السلام. إن كانت هنالك صلة للمسيحية بإرهاب السبعينيات «**جماعة بادرماينهوفن في ألمانيا أو الألوية الحمراء في إيطاليا**» يمكن أن تجد صلة للإسلام بـ«**بن لادن**». ويقولون سَمِهِ الإرهاب واجعل الإسلام بعيداً عنه. ذلك أمر غير ممكن على الإطلاق، عندما يحاول أناس قتلك، خصوصاً عندما يكونوا متمكّنين من ذلك، فمن الحصافة الإصغاء للأسباب التي يقدّمونها، بالإضافة إلى أنّ «**بن لادن**» قد شنّ حربه ظاهرياً بأسم الإسلام.

في الحقيقة، قبل ثلاث سنوات من حادثة البرجين، شغل بن لادن نفسه بإصدار بيان طويل لتشكيل جبهة العالم الإسلامي للجهاد ضد اليهود والصليبين[٣]، مصرّحاً بأنّ قتل الأمريكان وحلفائهم، مدنيين أم عسكريين، هو فرض على كل مسلم قادر على ذلك، حتى يتحرّر المسجد الأقصى في القدس والحرمين الشريفين في مكة والمدينة من الأسر وتنسحب جيوش الكفر مهزومة من كل ديار العرب[٤]. سيكون من الموضوعي القول، إنّ أي مجموعة من مختلي العقول

---

١ ـ الهجوم نتيجة لسياسات سابقة أدت الى إيجاد هذه المواجهة.

٢ ـ الإسلام الذي نفخ فيه الغرب ليس هو الإسلام الذي جاء به النبي«ص» ولكن أبتلي الإسلام بتطبيقات بعيدة عن مبادئه.

٣ ـ أجل أين هي حرب ابن لادن لليهود والصليبيين؟ نعم، لا تتعدى فعالياته سوى ترك تشوهات للدين وتحريفه عن المسار الصحيح.

٤ ـ إذا كان الهدف تحرير الحرميين الشريفين فلماذا لا تنطلق القاعدة من هذا المكان المقدس وتبدأ عملية التحرير منه؟ ولماذا تعمد لتصدر الفوضى والتخريب للعالم الإسلامي ثم نسأل ما ذنب ملايين الأمريكان الذين يتعاطفون مع الإسلام ومبادئه؟

عزمت على القيام بجريمة ما، تبدو حرّة فيما تقول حول بواعث عملها ذاك. فإن تقتل القاعدة بأسم الإسلام فقط، لا يعني ذلك أنّ الصراع ـ مع الغرب ـ ركن أساسي من الأيمان[1].

قد يقول الإرهابي الماركسي بأنّه يقتل من أجل الطبقة العاملة ولديه الإطار النظري الشامل الذي يبرر فعله ذاك، والى هذه النظرية ينتمي أناس كثر. ولكن هل يعني ذلك أن في جوهر الطبقة العاملة ما يشعل الحرب على الرأسمالية؟

كلا، فقد توحي العبارة بأنّ على المجتمعات ـ التي تحاول التعامل مع الإرهاب الماركسي ـ النظرَ في أفكار ماركس لِتبينَ المدى الذي يؤمن به الإرهابيون[2].

وفي السياق نفسه، فإنّ مشكلة أولئك الذين يودون الاعتقاد بأن الإسلام بريء من الإرهابيين الإسلاميين: ليس فقط أن الإرهابيين لا يقولون خلاف ذلك، بل يوجد الأنصار المتحمّسون والإطار النظري الذي يوظّف لتبرير هذه الأفعال. وعلى نحو لا يمكن إنكاره، فإنّ الكثير ـ من هذه النظرية ـ حديث سياسي وديني ويعود لطروحات في نهاية القرن العشرين. وتوصف بعدة مصطلحات: الأصولية، الإسلاموية، الإسلام السياسي، رغم إن الكثير من هذه

---

١ ـ نعم هناك ثوابت أيمانية في الوقت نفسه توجد صيغ متغيرة فلم تكن الأساليب المتغيرة حكراً على ابن لادن والتعبد في منهجه والتصعيد به الى مستوى الاحكام التي جاء بها الوحي، ثم إن بن لادن ليس هو القائد الوحيد للعالم الإسلامي . كأنه يمثل إرادة مليار مسلم لينتهي كاتب المقال من بيان يصدره بن لادن كما يصدره آلاف الناس من المسلمين بداية لحرب حضارات جديدة ..

٢ ـ المسألة لا علاقة لها بالإيديولوجيات بقدر ما يكون الإرهاب أو غيره أداة بيد السياسة فإذا كانت تلك العقيدة أو الإرهاب فيه مصلحة يتحرك السياسي ليتبناه من اجل توظيفه لآغراضه الآنية.

المصطلحات بحاجة إلى فحص، لكن البعض منها له أو يدّعي أن له صلة بالأفكار الأصولية وممارسات الدين نفسه[1].

■ ■ ■

الله أو الجهل... أفضل بداية لفهم هذه العقيدة هي أفكار سيد قطب، الناقد الأدبي في الثلاثينات والأربعينات والناشط في حركة الأخوان المسلمين في مصر قبل إعدامه عام ١٩٦٦. ففي أواخر الأربعينيات أمضى سيد قطب عامين في أمريكا، تجربة مقتها، ويبدو إنّها قد غيّرت موقفه اتجاه ما يسميه الناس في الغرب، الحداثة، والتي يراها قطب أمراً سيئاً.

عند عودته إلى مصر، كتب قطب سلسلة كتب، أنجز اغلبها وهو في السجن، يشجب فيها الجاهلية، الأمر الذي فهمه على انه سيطرة الإنسان على الإنسان أو الخضوع للإنسان لا لله.

يقول «قطب» مثل هذا السلوك وُجد في الماضي، وموجود في الحاضر ويهدّد بالاستمرار في المستقبل. فهو العدو الدائم للإسلام، حيث أن «**في كل زمان ومكان يواجه الكائن البشري خياراً حاسماً: أما طاعة قوانين الله وهو في عليائه، أو تطبيق القوانين الوضعية المكتوبة من قبل البشر، بشكل أو بآخر.**

ذلك هو الخيار: الإسلام أو الجاهلية. والنمط الجديد من الجاهلية هو المجتمعات الصناعية في أمريكا وأوربا وهو جوهر مشابه للجاهلية الأولى في زمن الوثنية والبداوة. في كلا الحالتين الإنسان تحت سيطرة الإنسان وليس الله».

---

١ ـ نعم القضية تحتاج الى تفكيك فقد يتحد المصداق بمعنى أن الإسلام يتبنى الجهاد، كما أن السياسي يتبنى الحرب ضد خصومه ولا فرق بين الجانبين، لكن الإختلاف يقع في المنطلقات والأهداف.

لم يكن قطب أول مفكّر نظّر إلى العالم بهذه الطريقة، فقد كان متأثراً بأفكار مجايله، مولانا محمّد في الهند، والذي كان نافراً من الحداثة، ناظراً إليها كشكل من أشكال البربرية. كلاهما اعتمد في اطروحاته على حوادث وأفكار الأقدمين. أحد هؤلاء كان **«تاج الدين بن تيمية»** وهو مفكر إسلامي من طراز لوثري. دعا في القرن الثالث عشر، كرد فعل على هجوم المغول للعودة إلى جوهر الإيمان الذي تخلى عنه رجال الدين يومذاك[1]. بالإضافة إلى مفكر آخر هو **«محمّد بن عبد الوهاب»** الذي دعا إلى تطهير الإسلام من الإضافات الحديثة والاعتماد بصرامة على القرآن والحديث النبوي[2]. لكن طريقة سيد قطب هي التي قدّمت وضوح الرؤية لمنظّري إسلام اليوم[3].

أحد الأسباب في كون سيد قطب حلقة ربط مع الحاضر هو استمرار حركة

---

١ ـ من المعروف أنَّ نشاط بن تيمية تكرس في العقائد لا في السياسة ولا في الإصلاح والتغيير الإجتماعي لعله اعتقدَ بأنّ إصلاح العقائد يؤدي الى إصلاح المجتمعات، فضلاً عن كونه كان متهماً بالإنحراف العقائدي حسب تصريح علماء عصره كالحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ وشهاب الدين بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ وبن حجر الهيتمي ت ٩٧٣هـ والنبهاني، راجع طبقات الشافعية ٩/١٦٢ وتكملة السبت ١٩٠ والدرة المضيئة ٦ وشواهد الحق ٧٩٠.

٢ ـ اعتمد على سيرة السلف وحركتهم واقتطع من الموروث ما يلائم سياسته فهو بالنتيجة أضاف للماساة العقائدية مأساة أخرى وأصبح ـ فيما بعد ـ شقاً خامساً لعقيدة السنة الأكثر اعتدالاً من مذهبه الذي أضاف للإسلام مذهباً آخر بدلا من ان يسعى لتوحيده حيث استخدم سوط التكفير للمسلمين المخالفين له.

٣ ـ لم يكن سيد قطب من العلماء الكلاميين ولا من الفقهاء وإنّما من المفكرين الذين طرحوا الأفكار الإسلامية بأسلوب حديث يلائم الواقع و استطاع ان يدفع محيطه الإسلامي الى العمل والتحريك.

الأخوان المسلمين في العمل داخل مصر وأماكن أخرى[١]. فـالسيد بـن لادن ونائبه «**ايمن الظواهري**» هما عضوان سابقان في حركة الأخوان[٢]. واكثر من ذلك فإن القوى التي اعتقد قطب في الخمسينيات والستينيات بأنّها مقوضة للإسـلام كالرأسمالية والفردانية والإباحية الجنسية والانحطاط، لا تـزال بـالإضافة إلى العولمة تعتبر تهديداً قوياً للإسلام. لقد فَقَدَ سيد قطب الإيمان بالقومية العربية التي كانت الأيديولوجية السائدة في العالم العربي حينذاك. وفي رسالة له من السجن، قال قطب: بأنّ الوطن الذي يعتزّ به المسلم ليس قطعة من الأرض بل كل ديـار المسلمين، وأي ارض تعيق تطبيق ممارسة شعائر الإسلام أو تـطبيق الشـريعة تعتبر بحكم الواقع جزءاً من دار الحرب ويجب مقاتلتها حتى لو كان بها أصدقاء أو أقارب أو جماعة المرء الروحية أو حتى لو كانت عاصمته ومصدر تجارته[٣].

ثمة خط مستقيم يربط رسالة سيد قطب من السجن بأفكار السيد بن لادن واتباعه في القاعدة. فاتباع القاعدة مثل سيد قطب، يؤمنون بأن الإسلام واقـع تحت هجوم مزدوج، ليس فقط الهجوم العسكري من الغرب المـعادي «**العـراق، فلسطين، الشيشان وما إلى ذلك**» بل كذلك الهجوم من الداخل حيث يساعد انتشار

---

١ ـ طبيعة التحدي المعاصر سياسي أكثر من كونه عقائدي لذا فالتيار الأخواني إرتدى هذه الحلة.

٢ ـ لايوجد التقاء بين سيد قطب والظواهري وانما عقائدهما تختلف ومنهجهما يختلف هـو الآخر.

٣ ـ الأفكار التي يتبنّاها سيد قطب أو غيره ينبغي أن تحاكم بمعايير الدين لا بمعايير السياسة والمصالح، لأن معايير الدين والأخلاق تتقاطع في كثير من الأحيان مع السياسة فكـان الساسة يعترضون على مواقف الامام علي عليه السلام تجاه معاوية منها أنّ أبا سفيان قال له في خلافة أبي بكر مدّ يدك أبايعك لإجل أن لا تكون الخلافة لتيم وعدي أي أنّه يقصد «ابا بكر وعمر» فوبّخه الامام على ذلك وهذا غير مستاغ في الأروقة السياسية.

قيم الغرب من قبل الأنظمة كافة بنسف المقصود بالإسلام. هذا الهجوم، من وجهة نظر القاعدة، يجب أن يقاوم بالجهاد بكلا المعنيين الذين يحملهما هذا المفهوم في الإسلام. الجهاد الشخصي في الطاعة الكاملة للعقيدة وجهاد المسلم ضد أعداء الإسلام. مفهوم أعداء الإسلام يشمل كلاً من العدوين[١]، **«أمريكا وإسرائيل»** وكذلك الأعداء الأقرب **«الأنظمة العاقة أو حتى المرتدة في العالم الإسلامي»**.

لذا فإنّ معاداة بن لادن للنظام السعودي في مستوى مماثل لمعاداته للولايات المتحدة[٢]. كم تمثل وجهة النظر هذه؟ واحد من كل أربعة من سكان العالم هو مسلم. فالقليل من ١،٥ مليار مسلم قد سمع، واقل احتمالا انه قد انتمى إلى أفكار القاعدة. ليست اكثر من آلاف قليلة قد انخرطت في نشاطات القاعدة، ومثيلاتها في التفكير كمنظمات الجهاد. فبعد أحداث سبتمبر، شارك رجال الدين والمفكرين الناسَ العاديين في العالم بإدانة منظمة القاعدة، وما ارتكب باسمها. لا يعني هذا أن كل أولئك معتدلون. أحدهم السيد فضل الله، القاطن في بيروت، والذي يوصف بأنّه المرشد الروحي لحزب الله المدعوم من إيران، اصدر فتوى أدان بها الهجوم. وهناك تنديد آخر قدم من رجل الدين المصري العامل في

١ ـ المواجهة الحضارية والاختلاف بين الحضارات أمر ملحوظ لكن توجيهه تحت نظرية أساليب الصدام أو قل الحوار لاتخضع لصيغ يحددها ابن لادن او سيد قطب لأن اساليب الإصلاح والتغيير ينبغي أن تكون مستمدة من أصل الرسالة بالوقت نفسه فهي متعددة ومرتبطة بالظرف.

٢ ـ وفي الذهن يثار سؤال لماذا لم تتحرك القاعدة في السعودية أو غيرها لنصرة صدام حين غزته أمريكا الكافرة في نظر القاعدة، بل وجدنا الدول التي تدعم الإرهاب ضد العراق المسلم قد إصطفت مع قوى الكفر ضد البلد الإسلامي فالتحالف سنة ١٩٩١ وكذا ٢٠٠٣ إنظم اليه معظم الدول التي تمد الإرهاب هذه الأيام ضد العراق، الأمر الذي يحق لنا أن نفسر هذه المواقف فنقول أن القاعدة أداة مسخرة فكما يستخدم النفط كقوة في المعركة فكذلك يستخدم الدين المحرف ضد الدين الحق.

التلفزيون القطري، الشيخ قرضاوي، وكذلك وجهات النظر الغاضبة من الملايين[١]. كل ذلك يفرح القلب. المشكلة الحقّة هي إنّ قلة قليلة يمكن لها أن تعمل أفعال ذات عواقب لا تحمد. فقط تسعة عشر شاباً شاركوا في أحداث ١١ سبتمبر لكن فعل التسعة عشر قد غيّروا التاريخ. فقد أدى في غضون عامين إلى غزو واحتلال عسكري أمريكي لبلدين مسلمين هما العراق وأفغانستان. وبالتالي دمرت تصورات المسلمين عن أمريكا وإلى مدى ابعد، الغرب كلّه[٢].

اظهر استطلاع أجراه برنامج **«المواقف الكونية»** إنّ وجهات النظر السلبية اتجاه أمريكا بين المسلمين انتشرت ابعد من الشرق الأوسط إلى إندونيسيا، اكثر البلدان الإسلامية تعدادا، وإلى نيجيريا. واغلب الدول الإسلامية تعتقد بأن أمريكا تشكل تهديدا عسكريا لبلدانها.

الأغلبية الساحقة من الفلسطينيين والإندونيسيين ونصف أولئك الذين في المغرب وباكستان، قالوا انهم ـ على الأقل ـ لديهم ثقة بأن **«بن لادن»** يفعل الأمور الصائبة فيما يتعلق بشؤون العالم[٣]، وسبعة من كل عشرة فلسطينيين لديهم الثقة

---

١ ـ الظواهر لاتدرس وتحلل بهذه الطريقة، فالمسألة لا علاقة لها بالكثرة ولا بالقلة ولا حتى بالقدرة النافذة في المجتمع فكانت الوهابية يوما ما قد ادت مأموريتها بكل نجاح فلماذا لانقول أنها معتدلة.

٢ ـ حرب ضد المسلمين القوة المهددة لحضارة الغرب ومصالحه في الشرق الأوسط. نعم، هناك ذرائع مرة تحت غطاء أسلحة الدمار الشامل ومرة الخروج عن الصف ومرة ضد الإرهاب وهكذا.

٣ ـ كما هو الحال حيث وقفت امريكا لصالح النظام السعودي النفطي وتقوية عقائده الظاهرية بهدف تسخيره ضد ما يطلق عليه بالإلحاد الخصم لأمريكا «الاتحاد السوفيتي» وهكذا الحال كان الموقف الأمريكي مع الطالبان رفعت أمريكا يدها عنهم لانتهاء مأموريتهم في أفغانستان فأمريكا لادين لها نعم دينها المصالح الأمريكية او قل النخب السياسية في امريكا.

بخصوص هذا الشأن. فضلاً عـن ذلك، ليس بـالأمر الضـروري للـمسلمين أن يستمعوا مباشرة لأناس مثل قطب والمودودي وعبد الوهاب حتى تنتشر وجهة النظر هذه[١]. فعلى سبيل المثال بعض أفكار محمّد بن عبد الوهاب قد تم تبنيها من قبل الحكومة السعودية ويتم نشرها في المساجد القاصية والدانية على خلفية البترودولار السعودي. والوهابية حركة متزمتة تـمثل الفكـر السـني المـضاد للغرب[٢]. وكذلك الأقلية الشيعية في الإسلام تعارض الفكر الغربي[٣]، مـتمثلة بأولئك الذين يتدافعون كل جمعة في كل مساجد طهران. إلى أيـن يـؤدي ذلك بالعلاقة بين العقيدة الإسلامية والإسلام السياسي؟ عند غالبية المسلمين يـمثل الإسلام مجرد دين أو طريقة لتنظيم الحياة وفقاً لإرادة الله.

أهو دين سلم أم عنف؟[٤]، الإسلام مثله مثل الأديان الأخرى له نـصوص مقدّسة يمكن أن يستشهد بها لدعم كلا الطرفين، وفقاً للظروف، مثله مثل الإنجيل. الإسلام يختلف عن الإنجيل لأن المسلمين يعتقدون بأن القرآن بمجمله هو كلام

---

١ ـ نعم ان الغرب ينظر لمصالحه لكننا نسأل إذا كانت المسألة انسـانية كـما يـدعي فـلماذا لايقاطع الغرب النظام السعودي الحاضنة الشرعية للإرهاب الدولي، ولكن للغرب مصالحه في الحرب ضد ما يسمى بالإرهاب وهذه أخلاقه، وبـناء عـلى ذلك فـمن حـق العـالم الإسلامي أن يواجه الغطرسة الأمريكية بنفس الأسلوب الأمريكي ما زالت أمريكا تبرر لنفسها الحرب على كثير من الدول بهدف الدفاع عن نفسها أو عن الانسانية بمعنى أن هذا الشعار ليس حكرا على أمريكا.

٢ ـ متى قبل انتصار الثورة الإسلامية في ايران ام بعدها؟

٣ ـ المسألة أبعد من ذلك فهي مسألة مبادىء واستقلال شعوب وانتصار لحضارات.

٤ ـ هذا التصنيف غير علمي فالأمر يتعلق بالقيم ثم بالامة أما معنى الجهاد فهو مشرع للدفاع ضد من يعتدي على الأمة وهويتها فليس من الصحيح أن يفسر الجهاد الدفاعي بالعنف نعم، الإسلام يرفض الاعتداء والعنف بمعناه العقلي والإسلامي ولا يخضع للتفسير الذي تفرضه امريكا حيث تسميه مرة بحرب التحرير وأخرى بالإرهاب وثالث بالعنف.

الله المرسل مباشرة إلى الرسول محمّدﷺ ويحتوي الحديث على وصايا شديدة وسلمية، ويتمتع المسلمون بإظهار التعاطف والإحسان. نعم، يوجد في الإسلام مفهوم الجهاد **«الحرب المقدسة»** الذي يعتقد بعض المسلمين بأنّه يشكل أحد أركان الإسلام ووجوب إضافته إلى أركان الإيمان الخمس الأخرى: التوحيد، الصلاة، الزكاة، الصيام، والحج، لكن القرآن يؤكد على فكرة: لا إكراه في الدين(١).

دخل الإسلام والمسيحية في صراع طوال قرون. لكن إن كان هناك شيئاً في جوهر الإسلام يهيىء اتباعه قبليا إلى صراع عنيف مع الغرب(٢)، فمن الصعب القول ماذا يمكن أن يكون ذلك الشيء؟ قد يكون البحث عن شيء ما هنا هو اشتغال في العبث، بالإضافة إلى أن أساسيات الاعتقاد هي موضع صدام بحد ذاتها. ليس في الإسلام «بابا» أو سلطة مركزية **«رغم تطلّع الشيعة إلى ما يماثل ذلك»** ممّا يعني كما يقول **«جيمس سيكاتوري»** من جامعة اكسفورد: إنّ السلطة الدينية والعلماء الرسميين سيعدون أنفسهم في منافسة مع رجال الدين الشعبيين أو غير الرسميين، والوعاظ والحركات الصوفية والمجاميع الدينية التي يقودها المتصوفون. كل هؤلاء وغيرهم يدعون صلة مباشرة بالنص الديني والزعم كذلك بتأويل معاصر لمعانيه. وهنا يثار سؤال أساسي: إن كان لأي فرد أو مجموعة من هؤلاء حق الاستحواذ على المقدس.. حتى وهم يوائمون ذلك الحق لأنفسهم فقط.(٣)

---

١ ـ هذا صحيح ولكن مفهوم الجهاد ضد من يعتدي لا ضد من يعترف بالحوار والدعوة والسلم والقول بالتي هي أحسن.

٢ ـ الإسلام يريد من أمته أن تكون هويتها واضحة المعالم والغرب يريد تذويب هوية الأمة واحتواء العالم الإسلامي وفق الإطار الغربي وما يطلق عليه بالعولمة.

٣ ـ الإسلام له واقع ثابت كما أن له واقع حياتي وميداني فالاسلام ليس اعتقادات جامدة ←

[٢]
الآلهة التي هوت

الإسلاميون يستغلون الفراغ السياسي..

منذ أحداث ١١ ستمبر والمناقشات حول الإسلام تـزخـر بـعبارات مـثل **«الإسلام السياسي، الأصولية الإسلامية، الإسلاموية، الإسلام الراديكالي»** وهلّم جرا. في الغالب، ما من أحد يتفق مع آخر حول ما تعنيه هذه المصطلحات أو كـيف تشكلت أساساً. فمنظومة الأفكار المقترنة بالسيد قطب ـ فكرة أن للإنسان خياراً واحداً بين الجاهلية أو إطاعة قانون الله ـ هي شكل متطرف من أشكال الأصولية الإسلامية، التي هي بدورها جزء من تصنيف اكبر يسمى **«الإسلاموية أو الإسلام السياسي»**[١].

في واحد من الكتب الحديثة، للأكاديمي الأمريكي **«نوح فـليدمان»** يـعرف الإسلاموية بأنها: **«رؤية المرء السياسية والروحية والاجتماعية الشاملة التي تعرف بنقيضها غير الإسلامية»**. وفي تعريف آخر لـ **«كراهام فولر»** المسؤول السابق في

← تخضع للزمان ومنفصلة عن الامتداد معه وانما تتعالى أفكاره عن ذلك بالوقت نفسه تدفع بالانسان نحو الحياة والحركة وتؤمن له الصلة بالعقيدة والحياة معا ويأتي الجانب السياسي في اطاره المشترك فالفعل السياسي ليس كالمعنى الغربي وانما يـندرج ضـمن مـنظومة متشابكة اجتماعية، سياسية، ثقافية، اقتصادية.

١ ـ هذه القراءة تحاول أن تفكك بين الدين والسياسة فهي تخالف الواقع كما تخالف الأسس التي شرعها الإسلام.

CIA، يذهب إلى أن المسلم هو «**المرء الذي يعتقد بأن الإسلام يعد منظومة إيمان لديها الشيء المهم الذي تقوله عن كيفية تنظيم المجتمع والسياسة في العالم الإسلامي المعاصر، ويسعى لتطبيق تلك الفكرة في بعض الصيغ**». لكن الكاتب الفرنسي «**أوليفر روي**» يفضل تعريفاً آخراً مختصراً: الإسلام السياسي مسعى لتشكيل دولة إسلامية.

ومهما اختلفت التعاريف ـ إذ يوجد كم هائل للاختيار منها ـ فإن النقطة الرئيسية الجديرة بالاهتمام هنا هي الميل المتزايد في العالم الإسلامي للإسلاميين، والتوجه نحو الدين كحل أو جزء من حل للمشاكل السياسية. والمسلمون ليسوا وحيدين في هذا الأمر. فالعديد من الأمريكيين «**والهنود والإسرائيليين**» يعتقدون إن المسيحية أو البوذية أو اليهودية لديها ما تقوله بشأن كيفية تنظيم السياسة والمجتمع[1]. لكن مدى الدعم الذي يقدمه الإسلام السياسي يجعل الإسلام مختلفاً. يذهب «**برنارد لويس**» الأستاذ في جامعة «**بروستون**» إلى أن أحد التأويلات الجدالية للإسلام في الغرب هو أن اغلب البلدان الإسلامية لا تزال إسلامية بعمق، بنفس الطريقة التي لم تعد بها اغلب البلدان المسيحية مسيحية. ولكن لماذا؟

قد يجيب المسلم الورع بأن الإسلام هو اكثر الأديان نجاحاً مقارنة مع منافسيه[2]: فهو أسرع الأديان انتشاراً. لكن الإجابة المحتملة الأخرى أو لنقل

---

١ ـ هذا التفكير والهم المشترك الذي تترقبه شعوب العالم هو بالنتيجة تطلع مخالف لما انتجه العقل السياسي الغربي الذي يريد أن يوقف الجهد الانساني الى حيث تريد السلطة الغربية حين بشرت بـ«نهاية التاريخ ونهاية الانسان».

٢ ـ الرسالة الإسلامية وقيمها تجعل من المسلم تواق لعالم آخر يمد في روحه القدرة على المقاومة والتحدي في كل زمان ويتعالى على الواقع الذي لوثته الحضارة الغربية.

الطريقة الأقل إيجابية لقول الأمر نفسه، هي الاعتقاد بأن كل القيم التي دخلت في منافسة مع الدين في العالم الإسلامي كان مآلاها النجاح الضئيل مقارنة مع ما حصل في الغرب. والصعوبة في ذلك، إن الكثير من هذه القيم، الديمقراطية، الليبرالية، والحداثة بالعموم، هي قيم يتطلع إليها المسلمون[1]. لذا فإن تزايد عدد المسلمين الذين يتطلعون إلى الله ليستجيب لمشاكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، قد يعزى إلى آلهة أخرى خيبت أملهم.فمنذ حكم الاستعمار، وجدت اغلب الدول الإسلامية صعوبة في تكوين ديمقراطية ناجحة. والبعض التحق بموجة الديمقراطية التي لحقت الحرب الباردة. فواحد من كل خمسة بلدان ذات أغلبية إسلامية، بلد ديمقراطي. والديمقراطية في بعض الأماكن ـ ماليزيا، تركيا، بنجلادش ـ تسير بخطى أوسع من غيرها. فمنذ وقت ليس ببعيد خرجت إندونيسيا من دهر طويل من الديكتاتورية تحت حكم **«سوكارنو وسوهارتو»** وباكستان التي لها حظ ضئيل من الديمقراطية تُحكم من قبل دكتاتور عسكري. وإيران تتأرجح بين الثورة والثورة المضادة. وفي الربع الأخير من القرن الماضي، يقول معهد بروكلن، بأن مستوى الإنتاج الإجمالي للفرد في البلدان الإسلامية قد انخفض أو بقي في المستوى نفسه. يشكل العرب صميم الإسلام، واحد بالخمسة من عدد مسلمي العالم. لكنهم يشكلون نسبة لا تتلاءم

---

١ ـ الحداثة التي تعني أسطورة قوامها العقل والحرية والتقدم ورفض الدين ونعته بالإفيون وهي إنذار بنهاية الإيديولوجيات الإجتماعية والروحية اسقط هذا التصور في عصر ما بعد الحداثة حيث انبعثت الموجة الدينية في أوربا الغربية وفي العالم كله حتى قال ماكس فيبر الثقافة الدينية ليس عائقا التقدم وانما حافز ومحرك اجتماعي وليست افيونا وانما فيتامين منشط ومثير للحماس ويقدم بعد حياتي لا فقط للروح وانما للجسد أيضاً ، وتثبت الإحصايات أن كل ١٩ من ٢٠ أمريكي يؤمنون بالله ويقول الباحثون أن موجة المستقبل في العالم هي الإسلام.

مع عدد من الإرهابيين. والعرب اليوم في فوضى. فالعقد الاجتماعي الذي كان ممكناً في البلدان النفطية ـ تحمل أعباء الثيوقراطية مقابل تلبية حاجات المرء ـ قد انحلّ مع انخفاض أسعار النفط وازدياد السكان. في تموز الماضي، صعق العرب بنتائج تقرير أكاديمي لبرنامج التنمية التابع للأمم المتحدة، اظهر المدى الكلي لهذا الفشل. فطوال عشرين عاماً، يقول التقرير، كان مستوى نمو دخل الفرد في ٢٢ بلداً عربياً، اقل من ٥٪ من كل بلدان العالم، ما عدا بلدان الصحراء الأفريقية. واحد من كل خمسة من العرب لا يزال يعيش بأقل من دولارين في اليوم. وحوالي ١٢ مليونا أو ١٥٪ من القوى العاملة، هم عاطلون عن العمل، وحسب التوجهات الأخيرة فإن العدد قد يصل إلى ٢٥ مليوناً في العام ٢٠١٥. لا يعزو تقرير برنامج التنمية هذا الفشل إلى قلّة الموارد، بل إلى نجاح الثيوقراطيات المطلقة وتزييف الانتخابات والخلط بين السلطة التشريعية والتنفيذية والقيود على الإعلام والظروف البطريركية المتعصبة. ورغم إن ٢٨٠ مليون عربي يصرفون على التعليم اكثر نسبة في إي من البلدان النامية في المنطقة، إلا أن ٦٥ مليون شاب لا يزالون أميّون، وحوالي ١٠ ملايين طفل خارج التعليم على الإطلاق. كذلك يوجد القليل من الإنتاج المعرفي أو الترجمة من لغة أخرى، فطوال ١٠٠٠ سنة، منذ الخليفة المأمون، ترجم العرب كما يقول التقرير، بقدر ما تترجمه أسبانيا في عام واحد.

■ ■ ■

مشكلة أم حل؟، هل الإسلام أحد أسباب هذا النمط من الفشل؟ عند أكثرية المسلمين يبدو السؤال معكوساً رأساً على عقب. الإسلام السياسي، أو الإسلاموية تبدأ من اتجاه معاكس. ففشل العالم الإسلامي يعزى إلى ترك الإسلام

وليس إلى اعتناقه. **«الإسلام هو الحل»** ذلك ما تقوله العديد من الأحزاب السياسية الإسلامية. جاذبية هذا الشعار البسيط تتعزز باعتقاد الكثير من المسلمين بأنّ الأجوبة الأخرى قد جرّبت ووجدت قاصرة[١]. في العالم العربي، تجد بعض البلدان، مثل المغرب والأردن ودول الخليج، متمسكة بنظم حكم شبه إقطاعية المدعومة من الغرب والأداة الطيعة له، لكن النمط السائد هو نظام تجربة المحاولة والخطأ التي تبعت مرحلة الاستعمار، وهي مرحلة القومية العربية، والمبادىء الاشتراكية تماشياً مع فكرة توحيد الناطقين بالعربية في دولة واحدة. منظّرو هذه العقيدة يذهبون إلى أن قوى الغرب أضعفت العرب بتقسيم ما كان يمكن أن يكون دولة واحدة. **«إنّ العرب، يقول دستور-حزب البعث، يشكّلون أمّة واحدة، وهذه الأمّة لها الحق بأن تعيش في دولة واحدة»**[٢].

لفترة، وبمساعدة شخصية عبد الناصر الكاريزمية، ألهمت القومية العربية الجماهير وأعطتها ثقة جديدة بالنفس لكنها في النهاية فشلت[٣]. إذ أخفقت محاولة توحيد الدول المزيفة في مرحلة ما بعد الاستعمار. وكذلك فشلت القومية العربية في هزيمة إسرائيل ولم تنجُ شخصية ناصر الكاريزمية من إذلال هزيمة ١٩٦٧،

---

١ ـ السؤال غير صحيح لأنه راجع الى الظرف المتحرك ويلاحظ كون الانسان كائنا مستقلا يتصرف في الأرض كسيد مطلق، كما هي النظرة الغربية للإنسان فإذا كان المرجع للبحث عن مشاكلنا من خلال الواقع المتردي الذي ساهم الغرب في ايجاده ولايزال فننتقل بالسؤال الى الانسان الغربي نفسه فلماذا بدل الغرب عقائده وتصوراته وأقصى الدين ومر في ظروف انحطاط وتردي بالوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية قد بلغت قمة التطور.فلا تحاكم العقائد من خلال تطبيقها ثم ان الديمقراطية نجحت في الغرب الا انها فشلت في أماكن اخرى.

٢ ـ الدعوات القومية جذرها غربي وليس عربيا، نعم تأثر بها بعض العرب فجاء بها كحل لمشاكله التي افتعلها الغرب نفسه وهذا من قبيل علاج الداء بالداء.

٣ ـ موجة لا قرار لها ولا مستقبل لأنّها نهاية تعتمد الشخص لا غير.

ولا استطاعت أن تطوّر مؤسسات ديمقراطية مناسبة أو تكسب ولاء الجماهير. في نهاية القرن العشرين، يقول الكاتب **«أديد داوشا»** مؤلف كتاب **«نعي باذخ للقومية العربية»** لم يبقَ إلا القليل، حطام لوعود مهشّمة وأحلام متناثرة. بهذا الحطام غمر الإسلام السياسي جذوره.

[٣]
بلدان ...

في مصر والمغرب، من يستخدم من؟

البلدان ليسا بعاجزين، فكلاهما حليف لأمريكا لكنهما مشوشان. في قرني الشمال الأفريقي، مصر والمغرب يغرقان في المشاكل. رغم امتلاكهما برلماناً وانتخابات فهما بعيدان عن الديمقراطية.

في المغرب هناك سلطة مطلقة بيد الملك محمّد الخامس لتعيين الوزارة ورئيس الوزراء أمّا مصر فإنّها تقاد من قبل الرئيس محمّد حسني مبارك، الذي جلس على كرسي الحكم منذ ١٩٨١ مع بعض محاولات التهديد.

كلاهما لديه أحزاب معارضة علمانية لكن في كلا البلدين يأتي التهديد الحقيقي من الإسلاميين.ولكن ما الذي يريده الإسلاميون في كلا البلدين؟

الدكتور «**عبد المؤمن أبو الفتوح**» رئيس نقابة الأطباء المصريين وقائد حركة الأخوان المسلمين، والمسموح لها الآن بالعمل ضمن حدود معينة من قبل حكومة الرئيس مبارك، والتي لم تشغل نفسها بالعنف منذ الستينيات. لكن حركة الأخوان ممنوعة كحزب سياسي، رغم أن ١٧ من أعضائها يمثلون كمستقلين في مجلس الشعب المنزوع الأسنان. الدكتور أبو الفتوح لن يكون مطلقاً وجهاً مقبولاً عند المحافظين الجدد في واشنطن، فهو يذهب إلى أن الغرب قد تحوّل ضد الإسلام بشكل رئيسي بسبب المشروع الاستيطاني الصهيوني. فإسرائيل بحاجة

إلى الحماية الغربية لذا فقد سممت مواقف الغرب تجاه الإسلام. من جانب آخر فهو لا يشارك سيد قطب فكرة أن الغرب في حالة جاهلية. **«على العموم أنا لا أرى أي تناقض بين حياة الغرب والإسلام»** يقول الدكتور، ففي النهاية لدينا مجموعة من القيم الإنسانية المشتركة من قبيل: العدالة، الحرية، حقوق الإنسان والديمقراطية.

سعد الدين العثماني، نائب رئيس حزب العدالة والتقدم، الحزب الذي سيخبرك الجميع ما عدا أعداء الحزب على أنّه الحزب الإسلامي الشرعي الوحيد في المغرب. في لقاء له مع الايكونومست، تبرأ السيد العثماني وزملاؤه من التسمية الإسلامية. نعم الحزب وضع اكثر من غيره من الأحزاب تأكيده على هوية المغرب الإسلامية، لكنّه قد نذر نفسه للديمقراطية وليس الإسلام. يقولون **«نحن بعد ٥٠ سنة من الاستقلال نرى أنّ المغرب متخلّف في التقدّم الديمقراطي والعدالة. لذا فإنّ أولوياتنا هي محاربة الفساد وإرجاع الأخلاق إلى الحياة العامّة، ثم التقليل من اللامساواة الاجتماعية باستثمار رأس المال البشري».**

من القاهرة يرسل الدكتور أبو الفتوح نفس الرسالة: بينما الإسلاميون المتبحرون هم ديمقراطيون في بحثهم عن العدالة، نجد أنّ الناس في الغرب قد تشيطنوا، فهو ينحى جانباً وبقوة الأسئلة عن دور الأخوان، إن كانوا يسعون لتطبيق الشريعة في مصر، بالطبع الشريعة يجب أن تحترم، رغم ذلك فأن أزمة مصر ليست غياب الشريعة بل فقدان الديمقراطية، لقد واجه الأخوان التعذيب والسجون. د.أبو الفتوح الذي كان هو نفسه قد سجن لخمس سنوات، يقول: على الغرب أن يعي بأنّ هذه الأنظمة عبارة عن مجموعة لصوص، أناس غير أسوياء يرغبون فقط بالجلوس على الكراسي، لقد شوّهوا صورة الإسلام في الغرب وخلقوا فوبيا الإسلام.

بالإضافة إلى حزب العدالة والتقدم، يوجد في المغرب حركة إسلامية كبيرة تسمى جماعة العدل والإحسان، وقد منعت من العمل كحزب سياسي، ووضع

قائدها الكبير، الشيخ ياسين، تحت الإقامة الجبرية، كان هدفها المعلن هو تحويل المغرب إلى بلد إسلامي. ولكن هذا ـ كما يـقول النـاطق الرسـمي **«فـتح الديـن أرسلان»** ـ يمثل هدفاً بعيد المدى، ففي الوقت الحاضر، ومع التركيز على التعليم والرفاهية، يقول **«أرسلان»**: إن الأزمة السياسية الراهـنة ليست وقـتاً للـتنافس السياسي، ما نحتاجه الآن فترة انتقالية، يجب على جميع الإسلاميين فيها، مـن اليمين واليسار، الاشتراك في العمل الحثيث من أجل تحسين الأحوال.

مثل هذه الحوارات تظهر بأن الإسلام ليس وحدة كليانية متناغمة متراصة. الناطق المعتدل باسم حزب العدالة والتقدم **«عادل ولد حسان»** وأعـضاء حـركة الأخوان يظهرون اليوم بعيدين عن عنف أعضاء القاعدة. ولا ادري لماذا يـصر الناس على جمع كل هذه الحركات تحت تسمية واحدة هي **«الإسلام السياسي»** لمجرد كونهم مرتبطين بالعنف، وإنْ بطريقة أخِرى، في أذهان الأنظمة؟!

خذ المغرب مثلا: في أيار الماضي وقع هجوم انتحاري في الدار البـيضاء أسفر عن مقتل ٤٥شخصا. مرتكبو الهجوم يعودون إلى مجموعة الجهاد السلفية. ولا يوجد إثبات لربط الهجوم بحركة العدالة والتقدم، والتي سارعت حينها إلى إدانة الهجوم. رغم ذلك فإن الهجمات قد شجعت على فرض قيود على حـزب العدالة والتقدم، بعض المسؤولين في القصر الملكي قالوا بأن التفجيرات تُظهر أن إصلاحات الملك الحذرة قد أسرعت الخطى، وللحظة، قيل إن الحكومة قد فكّرت بحظر مشاركة حزب العدالة والتقدم في الانتخابات المحلية لهذا الشهر.

رد فعل كهذا لا يشكل مفاجئة. في المغرب ومصر والعـديد مـن الأقـطار الإسلامية الأخرى، تميل الحكومات إلى تصنيف الإسلاميين وفق طيف يجعلها في النهاية مترابطة كلها. عند طرف أحد النهايات يقف الأئمة الذين يكون همّهم الوحيد إثارة اكثر في خطب الجمعة **«التي تسيطر عليها الدولة»**.

وفي نهاية الطرف الثاني يقف الإرهابيون الحقيقيون مـثل حـركة الجـهاد

السلفية في المغرب أو الجماعة الإسلامية في مصر التي أعلنت مؤخراً وقف إطلاق النار. أما في المنتصف فتوجد حركات مثل حزب العدالة والتقدم، حركة العدل والإحسان، وحركة الأخوان المسلمين التي تدعي أنها حركة ضد العنف، رغم أن النظام يتهمها بخلق جو من العسكرة، تترعرع بسببه رجالات العنف.

الغريب في الأمر إن هذه الأنظمة لا تخشى فحسب الإسلاميين بل تستغلهم. فقد رأت الحكومة المغربية بجماعة العدل والإحسان حصنا محافظا ضد قوى اليسار. ثم شجعت حزب العدالة والنهضة ليصبح اكثر اعتدالاً لمواجهة حركة العدالة والإحسان، ولكن عندما بدأ حزب العدالة والتقدم يحرز تقدماً في الانتخابات، اخذ القصر بالشعور بالقلق من أن الحزب قد نما اكثر من حجمه، وبطريقة مماثلة[1]، فإن الحكومة المصرية غالباً ما ترى في حركة الأخوان أداة طيعة. فالدكتور أبو الفتوح هو الآن في العقد الخامس، ينتمي إلى جيل الأخوان الذي شجعه الرئيس السادات للعمل كثقل موازن لحركة اليسار الراديكالي في حرم الجامعات[2]. يبدو من غير الأنصاف ضم أحزاب مثل حزب العدالة والتقدم الذي حتى لم يدعُ نفسه إسلامي، إلى حركات الجهاد العنيفة[3]. لكن هذه الأحزاب، بكل الأحوال، لا تعلو على الشبهات. فرغم تنصل قادة حزب العدالة

---

١ ـ هذا هو شأن السياسة حيث تستغل الدين لإغراضها الدنيوية ولم يكن هذا الأسلوب بجديد وإنّما ضارب في عمق التاريخ.

٢ ـ وهذه ادلة ومصاديق لحركة الطغاة ضد الدين وتوظيفه لمصالحها، وهو أحد الأدلة التي تؤكد توظيف الطغاة للدين وفق ما تدور مصالحهم السياسية.

٣ ـ لا أدري لماذا يشغل الكاتب نفسه حيث جعل المعيار للتصنيف هو العنف وغيره بينما العلم يستوجب جعل العدالة والإستقامة وتحقيقها هو المعيار، والأفضل ان يجعل المعيار لتصنيف الحركة أو الحزب هو القرب أو البعد عن مبادىء الأمة ورسالتها، ولكن الكاتب تحركه المصالح الغربية والإستعلاء على الشرق لذا صنف الحركات على هذا الأساس.

والتقدم من وصمة الإسلاميين، إلا انـهم يـعزفون عـلى نـغمة تـراث المـغرب الإسلامي. ويبدو الناطق باسم الحزب مراوغاً عندما يُسأل عن حدود الشريعة الواجب تطبيقها في المغرب النموذجي.كذلك فإن الحزب قد أُسس على شبكة تحتية من الجماعات تسمى الوحدة والإصلاح، وهي اكثر وضوحاً في أهدافها بخصوص أسلمة المجتمع[1]. لهذا فليس فقط الحكومات قلقة من نـمو التأثـير الإسلامي، يقول «**إدريس كزين**» رئيس تحرير مـجلس Telquel مـجلة الشـؤون المعاصرة: «**أنني أدين طـريقة الحكـومة بـاستخدام تـفجيرات الدار البـيضاء لوصـم الحركات الإسلامية بالشيطنة والعودة خفية إلى طريقة الحكم الشـمولي**». لكـنه فـي الوقت نفسه لديه تحفظاته اتجاه الإسلاميين. ويقول هنا: كل من حزب العـدالة والتقدم وحركة العدل والاحسان يسعيان إلى إقامة دولة إسـلامية تـقوم عـلى الشريعة لكنهما يسـتخدمان مـنهجين مـختلفين. فـبينما تُـهيىء حـركة العـدل والإحسان الناس بصبر لقدوم الخليفة. يعمل حزب العدالة والتقدم مـع النـظام السياسي ويقدم صورة أخف. لكنهما بالنتيجة يسعيان إلى السبيل ذاته[2].

في مصر، من المناسب جداً للرئيس المصري أن تكون له معارضة إسلامية تحت اليد. لأن هذا يساعده في إقناع الولايات المتحدة على إن فشله في الداخل يؤدي إلى وقوع مصر في مستنقع الأصولية. وتستخدم نفس الحجج والمجادلات في كل البلاد العربية والإسلامية، من الممالك العـربية إلى بـلاد الدكـتاتوريات «**البحرين، سوريا الأسد، باكستان برويز مشرف**».

يشير الدكتاتوريون والملوك إلى الإسلاميين ويقولون انهم سيكونون أسوء

---

١ ـ نعم هذه الأساليب والآليات أهداف تلحظ وفق معايير الآخر أنها سليمة.

٢ ـ الكاتب يحلل الأحداث من أجل الوصول الى أهداف الحركات والأحـزاب الإسـلامية ولكن وفق الرؤية الغربية للأحزاب بمعنى مدى قرب الحزب الإسلامي من الحزب فـي منظوره الغربي.

منا. وفي الوقت نفسه فإن الإسلاميين المعتدلين يقولون بأن استمرار الحكومات بالضغط عليهم سيحل محلهم الإسلاميون المتطرفون. معنى ذلك: **«إن لم نحصل على الديمقراطية ستواجهون لعبة انبعاث الجماعات المتطرفة»** هكذا يصرح **«مصطفى خليفي»** المحرر السياسي لجريدة التجديد المغربية[١].

يقول الدكتور **«بهجت قرني»** من الجامعة الأمريكية في مصر: منذ أحداث ١١ ستمبر أصبحت حركة الأخوان اقل أغراء من الجهاد، فالجيل الجديد اقل تركيز على الشؤون المحلية، انهم يتطلعون إلى عالم ما وراء مصر بغية نيل موقع أوسع لدى المسلمين. هل تقدم مصر والمغرب نموذجاً نمطياً؟

ليس من الصعب أن نجد فروقاً كثيرة بينهما، فالأولى هي مهد الحركة القومية، والثانية ملكية. واحدة تعد موطن العواطف التي ألهبت العالم العربي والأخرى بلداً محافظاً راكداً. لكن الإسلام السياسي في هذين البلدين المختلفين جداً يعيد نفسه في كل أرجاء العالم الإسلامي. ويخنق المعارضة العلمانية، تركت الأنظمة الشمولية الساحة السياسية أمام الإسلاميين، الجماعة الوحيدة التي لها أتباع. اصبح واضحاً الآن القول: ما لم يعطَ الإسلاميون المعتدلون آذاناً صاغية فإن المواطنين الساخطين سيتحولون إلى منظمات العنف حيث يرسل العراق وأفغانستان رسالة قوية للمجتمع الإسلامي المعاصر، لتجنيد اتباع اكثر[٢] لذا، لماذا لا يتغير شيء؟

---

١ ـ نعم هذه الظاهرة تتنفس أحيانا في أوساطنا السياسية فيطعن بعضنا البعض الآخر أمام المحتل بروح منافقة بهدف استبعاد الخصوم السياسيين بدل اللجوء للميدان والعمل مع الناس.

٢ ـ أرى أنَّ التحدي وسقوط الإطروحات الغربية المتجسدة في عالمنا الإسلامي وبروز الدكتاتوريات، فالناس تترقب الإسلام المعتدل. نعم، الغرب من جانبه تبنى نفخ البدائل الإسلامية المتطرفة خدمة لمصالحه وبهدف تشويه التجربة الإسلامية ذات البعد المعتدل.

[٤]
الإسلام السياسي والغرب

نظريتان...

على العموم، وبتبسيط شديد، يمكن أن يُصنف محلّلو الإسلام السياسي وفقاً لنظريتين سياسيتين متعارضتين. النظرية التفاؤلية التي تعتقد بأن العنف الإسلامي قد وصل إلى قمته في الثمانينيات وهو الآن منهزم. والنظرية التشاؤمية التي تعتقد بأن الإسلاميين يزدادون قوة حاليا ويستمرون في تشكيل تهديد مهلك للنظام السياسي للدول الإسلامية وتحدٍ محتمل للعالم اجمع.

يعتمد المتفائلون بشكل رئيسي على كتاب محكم للأكاديمي الفرنسي **«كيلس كيبل»** يسمى **«الجهاد: محاكمة الإسلام السياسي»**، وكذلك على كتاب مختصر لكاتب فرنسي آخر هو **«أوليفر روي»** تحت عنوان **«فشل الإسلام السياسي»**. طبع كتاب **«كيبل»** لأول مرة قبل أحداث سبتمبر، ورغم ذلك لا يرى مؤلفه أي حاجة لإعادة النظر بنتائجه الكلية. إذ يجادل فيه بأن الإسلاميين أينما حاولوا الحصول على دعم الأغلبية من الجزائر إلى أفغانستان مرورا بإيران، تراهم قد فشلوا. مثلهم بذلك مَثَل الشيوعيين، أي إن البرنامج العام لديهم فَقَدَ إغواءه. يقول **«كيبل»**: لم يعد المسلمون يرون الإسلام مصدرَ يوتوبيا، وهذه النظرة بشير خير للمستقبل. ولا يمكن بحال من الأحوال مجادلة جزء من هذه النظرية.

فبينما رجّت أحداث سبتمبر الناسَ في الغرب وأرتهم خطر الحركة الإسلامية[١]، فإنّ العالم الإسلامي نفسه، كان قد ارتج بفعل تحديات الإسلام السياسي طوال العقود المنصرمة. ومع نهاية التسعينيات ظهر ملياً كما لو أن العلمانيين وليس الإسلاميين ـ وعلى اقل تقدير ليس المتعصبون منهم ـ قد بدؤا يهيمنون.

انظر كيف تغيرت الأشياء في بلدان ثلاثة: إيران بعد ثورة ١٩٧٩، وأفغانستان بعد طرد السوفيت، والسودان بعد انقلاب الإسلاميين عام ١٩٨٩، لقد حاولت تلك الحكومات إقامة ما يماثل الحكومة الإسلامية الأصيلة. ففي إيران وأفغانستان[٢] هَزمَ المسلمون إحدى القوى الكبرى وأذلّوا أخرى. وباختصار كانوا قد ألهبوا حماس المسلمين في كل مكان. لكن مع نهاية التسعينيات، كانت تجربة السودان قد انهارت، فيما حوَّلت طالبان الوضع في أفغانستان إلى يوتوبيا سوداء مذمومة. أما تجربة إيران الثيوقراطية فإنّها فَقَدت السيطرة ليس على معجبيها في الخارج فحسب، وانّما على جماهيرها في الداخل أيضا. ومع تزايد فشل هذه التجارب، يصبح ـ إلى حدّ ما ـ الشعار التبسيطي **«الإسلام هو الحل»** أقلّ إقناعاً[٣].

وخلال نفس الفترة عانى الإسلاميون نكسة من نوع آخر، لقد اندحروا في البلدان التي رفعوا فيها شعار الجهاد المسلّح لمقارعة الدولة، حيث سَحَقت مصر

---

١ ـ لا تمثل أحداث سبتمبر حجم الصحوة الإسلامية ورجوع الناس الى الدين وتطلع البشرية جمعاء لمنقذ إنساني.

٢ ـ هذا خلط للأوراق نعم هناك صحوة اسلامية عمت العالم كله بما فيها أفغانستان وإيران وغيرهما لكن الفارق بينهما كبير حيث نلاحظ كثير من الحركات السنية ترفض ممارسات الطالبان المتطرفة والبعيدة عن الإسلام.

٣ ـ نعم يصرف الكونكرس الأمريكي سنويا ملايين الدولارات من أجل إسقاط التجربة الإسلامية في إيران ويدعم في الوقت نفسه معارضي النظام العلمانيين.

الجماعات الإسلامية، أمّا في الجزائر فقد تلاشت الحرب الأهلية بعد مائة ألف قتيل بنصر مكلِف للنظام. وفشل المجاهدون، الذين أذاقوا الجيش الأحمر هزيمة نكراء، بتحويل البوسنة إلى ساحة جهاد أخرى. لهذا كلّه يتوصل «كيبل» إلى نتيجة مفادها: أنّه بنهاية التسعينيات اصبح العنف الحالة التي لا يمكن المضي بعدها. فَلَم يُوصل العنف أنصاره إلى السلطة، بينما أرعب الطبقات الوسطى.

إن كان هنالك مستقبل، تقول النظرية الأولى، سيكون بالعمل ضمن قوانين الديمقراطية وإعطاء التنازلات المناسبة[١].

المدافعون عن النظرية الثانية، المتشائمة، يتفقون مع جزء من هذا التحليل، فهم يقبلون بفكرة إن الجهاد قد فشل عندما تصادم مباشرة مع الدولة، لكنهم اقل تفاؤل بشأن الوضع الحالي للأمور.

انهم قلقون، فبالرغم من قدرة الدولة على سحق جماعات العنف، فإن تأثير الإسلام السياسي لم ينجُ من الهزيمة فحسب، بل ازداد قوة. وبخلاف ذلك فالبعض منهم قد يقبل بدعوى الإسلاميين المعتدلين لتبني قيم الديمقراطية. بالطبع سيقول الإسلاميون انهم يتبنون تلك القيم الديمقراطية، ولهم في ذلك حساباتهم التي تفضي إلى العمل الناجع في ظل الانتخابات الحرة. لكن ماذا لو تحولت هذه الأحزاب إلى حصان طروادة؟ ماذا لو استخدموا الانتخابات للامساك بالسلطة وقطع الطريق على الآخر، إن حاول إزاحتهم مستقبلا؟[٢].

---

١ ـ هذه قراءات سطحية لم تحفر في الداخل الإجتماعي والحضاري للعالم العربي فالرفض المزعوم ليس للإسلام وقيمه وثوابته فالأمة تسعى لتطبيق مبادئه وتحاكم على ضوئها التجارب السيئة فالشعوب الإسلامية تلتزم التفكيك وتبقى المبادىء والثوابت هدفا رئيسيا لها.

٢ ـ المسألة ينبغي أن تلاحظ من ناحية منهجية فالصراع الذي تتبناه الحركات ينطلق من

←

مرة أخرى لا يمكن المجادلة بشأن جزء من هذه النـظرية. فـرغم هـزيمة التسعينيات، فإن تأثير الإسلام السياسي ـ فكرة أن لدى الإسلام ما يقوله بشأن كيفية حكم المجتمع ـ قد توسع. أحيانا يـمكن قـياس هـذا التأثـير المـتنامي بالانتصارات الانتخابية التي يحرزونها، مثل انتصار الأغلبية الساحقة التي نالها حزب العدالة والتنمية في تركيا بقيادة «**رجب طيب أردوغان**» في انتخابات نوفمبر ٢٠٠٢. أو تلك التي حقّقها تحالف ستة أحزاب إسلامية في باكستان، قبل ذلك التأريخ بشهر، حيث حصلوا على ٦٠ مقعداً من اصل ٣٤٢ في الجمعية الوطنية. هذا بالإضافة إلى السيطرة على الحكومة المحلية في مقاطعة الشمال الغربي. لكن النصر في الانتخابات دليل إثبات واحد فقط في القضية.

■ ■ ■

قوة المعارضة... حتّى عندما لا يفوز الإسلاميون بالانتخابات أو عندما لا يُسمح لهم بذلك، فإنّهم يشكلون المعارضة الوحيدة التي تخشاها الحكـومات، خاصة وانه لم يعد هناك الكثير من اليسار في أرجاء واسعة من العالم الإسلامي. وبينما تميل الحركات اليسارية عادة إلى الخلايا الصغيرة، يتّجه الإسلاميون إلى العضوية الواسعة والفعالة التي غالبا ما تـرتبط بـالجوامـع المـعروفة بـممارسة الأعمال الخيرية المؤثرة مع ما يسمى بالدعوة الموجهة لأسلمة العوام. وبـينما

← قناعات أيديولوجية فإذا ثبت أن للحركة أو الحزب مقاصدا أو أهدافا فهي التي تشكـل الفيصل للديمقراطية بمعنى تعارض الديمقراطية مع الأهداف وهذا قد يحصل ولكن المهم إذا كان الهدف الذي يتبناه هذا الحزب أو الحركة وطنياً سلميا وانسانيا يضيف قوة للجميع ويؤمن العيش بسلام فالإسلام بطبيعة الحال يؤمن بهذه الأهداف ما زالت لا تتقاطع مـع ثوابته.

يكدح المجتمع المدني في اغلب البلدان الفقيرة من اجل المال، تصب العوائد في جيوب الإسلاميين. وذلك تحديدا ما يجعلهم أقـوياء حـتى لو لم يكـونوا فـي السلطة. يقول **«غراهام فـولر»** نائب الرئيس السابق للمجلس الوطني للمخابرات التابع للـ C.I.A: **«لن يكون من المبالغة الإقرار بتركيز الإسلاميين على المجتمع المدني وبتشكيل المؤسسات فيه اكثر من أي قوة سياسية أخرى في العالم الإسلامي»**.

إلى ذلك يبدو انهم ليسوا بحاجة للفوز بالسلطة لينفذوا أهدافهم. والأنـظمة العلمانية التي تشعر بخطر الإسلاميين، لديها تجربة طويلة في الرد على مثل هذه الحالات، كوضع الشهي من الطعام في طريقهم في الوقت المـناسب. فـالرئيس الإندونيسي السابق **«سوهارتو»** حرص على تقديم نفسه كمسلم ورع في محاولة فاشلة لإنقاذ نظامه. كذلك الأمر مع دكتاتور باكسـتان **«ضـياء الحـق»** ورئـيس وزرائها العلماني **«ذو الفقار علي بوتو»**. لكن أنـظمة أخـرى اسـتجابت لمـطالب الإسلاميين بوضع ما هو هامشي وضئيل من الشريعة في القوانين والدساتير، مثل مصر وسوريا، مصرّحين في الدستور بأنّ الإسلام مصدر أسـاسي مـن مـصادر القانون الوطني. وفي عام ٢٠٠١ أعلن **«ماهاتير محمّد»** في ماليزيا وتحت ضغط المعارضة، فكَّ ارتباط الدولة بالتراث العلماني، وأعلن ماليزيا دولة إسلامية. أمّا ملك المغرب فقد أسمى نفسه المدافع عن الإيـمان. فـي الحـقيقة يـرى بـعض الإسلاميين أن مكاسبهم في المعارضة ورعاية شبكات اتـباعهم عـلى الأرض افضل من الوصول إلى السلطة. يقول **«راشد الغنوشي»** المعارض التونسي المبعد في لندن: إنْ حصل تناقض بين النشاطات الاجتماعية للإسلاميين واهتماماتهم السياسية، حينها يجب تفضيل الأولى. فَقَد اتضح أن نشاطاتهم الاجتماعية اكثر ثباتاً من اهتماماتهم السياسية، ويضيف: إن الشيء الخطر فيما يتعلق بالحركات الإسلامية هو الحب الذي يغمرهم الناس فيه قبل وصولهم إلى السلطة، والكـره

الذي ينالونه بعد استلامهم لها، مثلما حصل في إيران.

يقول المتشائمون إن الانتصارات التي حققها الإسلام السياسي في المعارضة قد غيرت مركز الاهتمامات الأساسية للمجتمعات باتجاه الدين والتعصب والرقابة، وأبعدتها في الوقت نفسه عن الليبرالية العلمانية. بينما يحتج المتفائلون بالقول: لا تعتقدوا إن هدف الأحزاب الإسلامية هو التوسع بنشر الأفكار الدينية، إنها تحاول إصلاح المجتمع في مجالات عدة، مستخدمة الإسلام لجعل رسالتها اكثر قبول. هم لا يكذبون: الإسلام يشكل مرجعية نظرتهم إلى العالم. انهم براغماتيون مولعون بتوظيف القيم التقدمية التي يتبنونها من إيمانهم، وليسوا آيديولوجين غارقين بالنصوص بحثا عن مخططات فكرية جاهزة.

أحد أشد المتفائلين في هذا المجال، السيد «فولر» المحلل السابق في الـ C.I.A يقول: يشكل الإسلام السياسي ـ باستثناء الأماكن التي أحرز السلطة فيها بالقوة ـ القوة الوحيدة الأكثر فعالية، النامية والمنتشرة والناشطة في العالم الإسلامي بحثاً عن تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني وبشكل عام الاقتصاد الحر. ولكن ـ وعلى اقل تقدير ـ تبدو هذه النظرة الوردية المتفائلة سجالية حتى في العالم الإسلامي.

أدموند شاهين، الباحث في العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية في القاهرة، مُؤمن بأن الإسلام السياسي هو موجة المستقبل. وفي الطابق الثاني من البناية نفسها، يعبر «**بهجت قرني**» عن خيبة المثقفين الإسلاميين، «**فمن جهة يعتبر الإسلاميين قوى نابضة في المجتمع المدني، لأنهم قوى معارضة لديهم مفاهيم بديلة، لكن من جانب آخر، هناك أسئلة جمة عن نمط النظام السياسي الذي يسعون لإقامته. بالإضافة إلى ذلك، أني أتساءل: إن كان ذلك هو الطريق إلى الديمقراطية الراسخة**».

بعض الإسلاميين، كما يقول بهجت **«ميالون إلى الاستشهاد بالنصوص الدينية كَسَند للدفاع عن حاجاتهم، لكنهم ليسوا مستعدين للإقرار بإمكانية أي خطأ»**.

لدى الكثير من الباحثين من غير المسلمين شك اكبر من ذلك. ايمانوئيل سيفان، الأستاذ في الجامعة العبرية في تل أبيب، يجادل بأن باحثين مثل السيد **«فولر»** الذي يعتقد بأن الإسلاميين قوى تقدمية في المجتمعات المسلمة، يولي اهتماما بما تقوله هذه الجماعات للآخرين اكثر من اهتمامه بما تقوله هذه الجماعات فيما بينها. فعلى الرغم من وجود بعض الأصوات الليبرالية بين الإسلاميين، يقول **«سيفان»** فإن هذه الأصوات قد كممها المتطرفون.

فبينما يطبع الليبراليون الجرائد، يتقن المتطرفون فَنّ نشر رسالتهم بشكل واسع عن طريق الخطب الدينية والمناظرات الموزعة على أشرطة صوتية. فقد أحصى السيد **«سيفان»** أربعمائة أو اكثر من أشْرِطة الخطباء ولم يجد بينها خطبة ليبرالية واحدة.

ليس بالأمر المهم اعتقاد الدارسين الغربيين بأن الإسلاميين ديمقراطيون حقيقيون، وسيان الأمر مع ما يعتقده اتباع الإسلاميين. ذلك أن اغلب الإسلاميين يقولون انهم ينشدون الديمقراطية. ففي الاستطلاع ذاته، الذي أشار إلى تصاعد غضب المسلمين تجاه أمريكا، توجد هناك إشارة إلى نزوع المسلمين القوي نحو الديمقراطية والحريات. وفي استفتاء اجري في خمسين بلداً، من مَلكيات، الأردن والكويت، إلى دول حكم مطلق، باكستان واوزبكستان، وُجِدَ دعم قوي لحرية التعبير والصحافة وأنظمة التعددية الحزبية والمساواة أمام القانون. وفي بعض أجزاء العالم الإسلامي سَجَلت هذه القيم معدلات عالية مقارنة ببلدان وسط وشرق أوربا[١]. ولكن هل يمكنك الثقة بهم؟

---

١ ـ هذه الإستطلاعات لا تكشف عن نزوع الناس الى الشكل الغربي ورفض الإسلام أو أنَّ

ربما. لكن هل إن المسلمين الذين يدعمون الديمقراطية نظريا يؤيدون الممارسة العملية لها إن كانوا لا يثقون بتمسك الإسلاميين بقواعد لعبة الحكم؟ يجادل «سيفان» قائلا: إن احتكار الإسلاميين للمعارضة في البلدان الإسلامية جعلهم يضعون الخوف من الله في قلب الطبقات الوسطى التي كانت في ظروف أخرى الشريحة الفائزة بالديمقراطية. ذلك ما حصل للطبقات الوسطى في أمريكا اللاتينية عندما كانت الماركسية في ذروتها، فقد ترددوا بأخذ فرصة الدخول في انتخابات ديمقراطية نزيهة خشية أن تؤول السلطة إلى المتطرفين.

القول بأن الديمقراطية لم تنفذ إلى الإسلام لا يفسر بعض المعارضة الأساسية من الدين. يقول «سيفان»: لم يمر وقت طويل منذ أن فُهِمَت الكاثوليكية في ضوء هذه الحقيقة. فشلت الديمقراطية، والى حد بعيد، بسبب الخطر الراديكالي: الخوف من أن تكون صوتاً واحداً لرجل واحد والى الأبد. وهل ستكون؟؟

← الإسلام مخالف لها أو أنَّ التطبيقات في عالمه إسلامية بل قبول الناس بها كونها مشتركات يقرها الوجدان الإنساني وتقرها مبادىء الشريعة الإسلامية من حيث مفهومها الأعم لا كونها نتاج العقل الغربي.

[5]
الإسلام والديمقراطية

قانون الإنسان أم قانون الإله ؟

ليست شيئاً تخيّله الغرباء الخوف من ان يتحوّل التصويت للإسـلاميين إلى واقع «**رجل واحد وصوت واحد ولمرة واحـدة**» إنه شيء معلن فـي عـموم العـالم الإسلامي. ففي عام ١٩٩١ اصطنعت الحكومة الجزائرية الذريعة لإلغاء الجـولة الثانية من الانتخابات والتي أوشكت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ من أن تمسك بالسلطة لتخلف جبهة التحرير الجزائرية التي حكـمت البـلاد مـنذ الاسـتقلال، وبررت ذلك بعدم الثقة بالإسلاميين للتخلي عن السلطة إن امسكوا بها[1].

يبدو هذا الأمر غير مقبول عندما يأتي من حكومة هي نفسها غـير راغـبة بالتخلي عن السلطة في انتخابات حرة. هنا يجب تذكير السـياسيين العـرب – الذين يشتكون من كون الإسلاميين غير ديمقراطيين – بحقيقة كونهم هم أنفسهم

---

١ ـ هذه ذرائع محبي السلطة وإلا فليس من حق أي انسان أن يحكم على المستقبل بنتيجة مسبقة بمعنى اسقاط الذات على المستقبل ما دام قد أقر قوانين الحاضر وتسـالم مـعها فالإقرار بالتسالم ينبغي أن لا يستبطن. القطع بالخوف من ضده، فإذا كانت الديمقراطـية مبدأً تسالم عليه الخصوم فلماذا الخوف من الديمقراطية نفسها؟ ليس لنا أن نقول سوى أنَّ المسألة ليس لها علاقة بالديمقراطية وإنّما المصالح هي التي تـريد الديـمقراطـية يـوما وترفضها يوما آخر.

غير ديمقراطيين. يبدو جليا، انه بالإضافة إلى الإسلام تشكل الحدود المصطنعة وحكومات الحزب الواحد عوائقاً أمام نمو الديمقراطية في العالم الإسلامي، ويحتاج أولئك الذين يعتقدون أن **«الإسلام هو الحل»** إلى مواجهة إمكانيات أخرى. أيكون الإسلام هو المشكلة؟ وهل تستقيم مع الديمقراطية مفردات الإيمان الصلدة؟

الجواب السريع نعم، فالديمقراطية ترتكز على فكرة أن **«الإنسان صانع القوانين»** بينما يتضمن الإسلام ـ كما في القرآن ـ منظومة قوانين مرسلة مباشرة الى الرسول **«محمّد»** وبالتالي فهي غير قابلة للتعديل والمراجعة. يقول الدكتور خالد أبو الفضل المتخصص بالقانون الإسلامي في جامعة كاليفورنيا: فكرة الديمقراطية التي يقدمها الإسلام تتضمن الإقرار بالسيادة الإلهية **«فهي لا تعوض عن السلطة البشرية بل يجب عليها أن تظهر كيف تعبر السلطة البشرية عن السيادة الإلهية وبفهم كامل»**[١].

ويشكل هذا تعقيدا هائلا، إذ سيعطي سلطة غير محدودة لكل فرد يدعي سلطة خاصة بالفهم الكامل. رغم ذلك لا يعدم الإنسان الفطنة للالتفاف عليها، فلم يعد خافيا للمسلمين وغير المسلمين ان الكثير من الأوامر الإلهية تعتريها الفجوات المطلوب ملأها، والأخرى المطلوب تفسيرها. وهذا يفتح المجال لتشريع الكثير من قوانينهم. مثلا لم يوصِ القرآن بأي شكل محدد للحكومة، بل

---

١ ـ بعد الإقرار كون الإنسان مستخلفا ويمارس دور الإعمار والخلافة في الأرض تأتي الممارسة الديمقراطية في مجالها السياسي لا في إطارها التشريعي، نعم إنطلاقا من العمل السياسي وطرق الحكم تمثل الديمقراطية آليات يراد لها تأمين وتفعيل التشريعات والأحكام التي تنظم المجتمع فالديمقراطية بخدمة التشريع لابعرضه فضلا عن كون الديمقراطية ذات صيغ متحركة توزعتها بلدان عديدة وإنْ اشتركت في كثيرمن عناصرها.

إن الحكومات بحاجة الى حكام من المطلوب اختيارهم ببعض الطرق التي تبقى مفتوحة للجدال[١].

والدول الحديثة بحاجة الى قوانين أكثر من تلك التي أمر بها القـرآن غـير القابل للتغير. وفي الحقيقة فإن ٨٠ آية فقط من مجموع ٦٠٠٠ آية في القـرآن تطرح قوانين التعامل العام، والقليل منها يمكن تطبيعه في العالم الحديث. والكثير ممّا يسمى بشكل فضفاض **«الشريعة»** تستقي من مصادر أخرى: السنة **«أحاديث الرسول»** الإجماع **«ما اتفق عليه الباحثون مـن رجـال الديـن»** والقـياس **«التـعليل القانوني»** لذا يوجد هنا حيز كبير للتأويل **«ما يسميه المسلمون الاجتهاد»**والبعض من الأحكام البينة في القرآن يقوم القضاة المسلمون بالإلتفاف عليها بإستمرار.

مثلا من أحكام القرآن قطع يد السارق **«الحد»**. لكن عدد الجرائم التي تتطلب **«الحد»** قليل جدا والعديد من البلدان التي تطبق عقوبة **«الحد»** تجد السبيل الذي يضمن عدم إنزالها بالمتهم أو أن تطبقها بشكل محدود جداً[٢].

---

١ ـ الأحكام والطروحات والتشريعات وحتى النظريات لا تـناقش بـهذه الطـريقة فـتوجد موسوعات كفيلة بإعطاء الرؤية التفسيرية للتشريع الإسلامي وموقفه من الديـمقراطـية والمستجدات الحياتية، فمسألة الحكم لها علاقة بالتشريع ومتطلباته فالحكومة ممارسة تخضع لطبيعة الظرف وما يفرضه من آليات لكن الحاكمية تبقى لله أما مـا يـطلق عـليه بالنصوص فهذا ليس من صلاحية الحاكم التجاوز عليها نعم، يوجد في الوقت نفسه معالم قد زود فيها المشرع الإسلامي تمكنه من مل الفراغ التشريعي بواسطة الاجتهاد «راجـع سلسلة الإسلام يقود الحياة للشهيد محمّد باقر الصدر».

٢ ـ إقامة الحدود والديات وكذا التعزيزات تعد بمثابة قوانين فوقية تنظم المجتمع الإسلامي بالوقت نفسه فهي تعتمد عناصر اخرى اخلاقية وعقائدية فالمجتمع الإسـلامي يـخضع لمنظومة متشابكة الأبعاد في الإجتماع والإقتصاد والسياسة متداخلة ومترابطة كالديات والحدود فينبغي أن لا تلاحظ بمعزل عن العناصر الاخرى في المجتمع فالمسألة مشروطة

←

بكلمات أخرى، أولئك الذين يبحثون عن الديمقراطية يمكن لهم أن يجدوا المساحة المناسبة داخل الإسلام للإيمان بأن الإسلام يتعايش مع الديمقراطية. والبعض يذهبون أبعد بدعوى اقل قبول. بالاستقراء الجهيد يمكن لهم ان يجدوا تخريجا للأفكار الديمقراطية بإشارات القرآن السريعة للإجماع والاستشارة[١].

بالطبع هذا إقحام للأشياء: فالتشاور يتم بين الفقهاء المسلمين وليس بين أفراد الشعب، رغم أن الكثير من القيم المقترنة بالديمقراطية مثل: المساواة والعدالة والتعاون، يمكن أن توجد في الإسلام، إلا أن النصوص الرئيسية المقدسة مثل الكثير من الأديان، لا تتصف بالديمقراطية. الأمر المناسب الذي يمكن أن يقال هنا هو أن: الأديان لا تحرّم الديمقراطية وحتى هذا أمر فيه نزاع. يجب التذكير هنا ان سيد قطب يقول: على الإنسان أن لا يكون تحت هيمنة إنسان آخر. وقد اصدر الشيخ الضرير عبد الرحمن، المشترك في المحاولة الأولى لضرب البرجين، فتوى حظر بها كل الأحزاب ومن ضمنها الأحزاب الإسلامية.

تبدو الحقيقة البسيطة الماثلة للعيان هي عدم وجود اتفاق في الإسلام حول برنامج عمل للسياسة[٢].

← فليس كل من سرق يقام عليه الحد لأنَّ الموضوعات تعد بمثابة سبب لاقامة كثير من الحدود. اما تطبيق القصاص في ظل مجتمع لا يحكم فيه الإسلام فهذه تشوهات للقيم والثوابت الإسلامية.

١ ـ نعم الإسلام عقيده وحياة وتشريع وسياسة وهذا لايعني ان إلتقاء الإسلام في بعض مبادئه مع الفكر الانساني الاخر يعني المساومة والمداهنة فالتشريع الإسلامي قد اقر كثير من قيم الجاهلية وامضاها من قبيل المروءة، الكرم، الشجاعة وحتى بعض التشريعات مع بعض التعديلات وهكذا نجد الإسلام يقر الحرية وحقوق الانسان وغير ذلك من المبادى التي تقرها المجتمعات الغربية.

٢ ـ نعم هذا يتم في المعيار الغربي لكن الأمة تحركها العقيدة أما البرنامج فخاضع للإجتهاد.

ولإثبات عدم وجود برنامج عمل محدد، انظر إلى ما هو مثير للعجب: إيران. عقدان من الزمن منذ ثورة آية الله الخميني، تبدو فيهما إيران نقيضا للديمقراطية. فقد فرض خميني نظام ولاية الفقيه، حيث يكون الحكم النهائي في السلطة السياسية لرجل دين هو الأكثر تأهيلا للفهم الحقيقي. وبالمصادفة الحسنة فقد كان هو من يعتبر الأكثر تأهيلا ليكون المرشد الأعلى. رغم ان دستور إيران يسمح بانتخاب رئيس جمهورية وجمعية تشريعية فإنّ التشريع يصحّح من قبل مجلس صيانة الدستور لضمان اتفاقه مع الشرع الإسلامي الذي يعتقدونه[1]. وهذه بالكاد **«ديمقراطية»** كما يفهمها الغرب. ولكن هل إيران دليل على انّ الدولة الإسلامية لا يمكن ان تكون ديمقراطية؟

جدالياً، ما تظهره إيران حقاً هو كم هم أحرار أو مرغمون أولئك الذين يتبنون قضية الإسلام السياسي ليختلقوا ما يعنونه بالإسلام السياسي وهم سائرون. رغم انّ الخميني لم يختلق مبدأ ولاية الفقيه لكنّ الشكل الذي فرضه كان الى حد كبير جداً من بناة أفكاره[2]. ومبدأ ولاية الفقيه ليس مقبولاً من كل

---

١ ـ هذه المناقشة غير سليمة لإنها لا تعتمد على الأسس المنطقية والعلمية فالنتائج دائما خاضعة لمسبباتها وإلا فالظواهر والتشكيلات لا تخضع للمصادفة وهذا الأمر ينسحب على ما نحن فيه فالحكم وولاية الفقيه تعتمد الإعتقاد بالقبليات مثل التوحيد والنبوة بعد ذلك تأتي النوبة للفقيه فالقفزعلى الحقائق ومناقشة الأمور بدون الرجوع لخلفياتها يؤدي الى تضليل القارىء فإذا اعتقد الإسلامي بحكومة ولاية الفقيه التي تعني في نظره امتداد للتوحيد والنبوة والامامة فهذا التاسيس للحكومة يراه المسلم صحيحا بينما يراه العقل الغربي غيرصحيح لأنه يقاطع قيمه التي تؤمن بأن يؤسس مبادئه على أساس أن الإنسان هو السيد في الارض وهو مصدر التشريع فنقطة الخلاف تكمن في المنطلقات والتأسيسات.

٢ ـ ليس من حق الفقيه عندنا أن يبتدع الاحكام بدون الرجوع الى الثوابت ويعمل بالإجتهاد ←

قادة الشيعة. وقد لا يعمّر طويلاً في إيران(١).

إيران اليوم منقسمة بين الإصلاحيين الذين يقودهم الرئيس محمّد خاتمي، المنصب لفترتين، وآيات الله المحافظين الذين لا يطيقون أي تغيير قد يضعف السلطة المخوّلة لهم بحكم موقعهم الديني. ومن المحتمل أن يتمكّن المحافظون من سحق الإصلاحيين أو بالعكس(٢). ولكن من الممكن أن يوجد طريق وسط. ذلك ما يأمله «**فريدمان**» الباحث والمستشار في الحكومة الأمريكية فيقول: مثل هذه النتيجة لا تحل فقط المشاكل التي تواجهها إيران اليوم دون ثوران عنيف، بل قد تقدم نموذجا لبلدان أخرى في العالم الإسلامي تحاول أن تحاكيه. حتى ذلك الوقت، كانت الأحزاب السياسية التي تدعي بأن «**الإسلام هو الحل**» تجد من الصعب عليها وصف نمط النظام السياسي الذي تتخيل تشكيله أو أن تشير إلى النموذج المعجبة به(٣).

أغلب الأحزاب السياسية الإسلامية تفضل الغموض والكمون في حالات

← والذي لايعتمد العناصر التي اقرتها الشريعة فاجتهاده باطل ومحرم ولذا حذرت مدرسة أهل البيت العمل بالقياس لانه لون من الوان اسقاط الذوق الشخصي على الحكم الشرعي.

١ ـ ليس المعيار أن يعمر النظام طويلا او لا يعمر والمهم انَّ النظرية والتطبيق منسجمان وصحيحان.

٢ ـ الانقسامات في المؤسسة الدينية ليست جوهرية ذات أصل عقيدي وانما هي انقسامات في الآليات شبيهة بالانقسامات بين الديمقراطيين والجمهوريين فالأصل في العمل السياسي الأمريكي هي المصلحة مطلقا وفي العمل الإسلامي إنَّ المصلحة مشروطة بالاخلاق والحدود التي رسمتها الرسالة الإسلامية.

٣ ـ أروع ما قدّمته التجربة الايرانية هو استبعاد الشيطان الاكبر الذي كان جاثيا على صدر ايران الإسلامية. ثم نموذج الإدارة والحكم نابع من حضارة شعبها ومقدساته كما هي الشعوب الغربية حينما رفضت ممارسات وتطبقات ظالمة وابتكرت نظم من ذاتها فلكل شعب تطلعاته وتاريخه ومقدساته بلا هيمنة ووصاية أو تمييز بين عقل وعقل.

الجمود غير الملائمة، فالكل يقول بأن الدولة الإسلامية ستطبق **«الشريعة»** لكـن الشريعة ذاتها ليست شاملة وهي موضع تأويلات متعددة بـالطبع. السـيادة لله، ولكن من سيحكم؟[١]، الجواب سـيعتمد عـلى مـن سـتسأله هـنا. قـد يكـون المتشائمون على صواب ليقولوا ان الإسلاميين ديمقراطيون مزيفون. اهتمامهم فقط بـ **«رجل واحد»** و**«صوت واحد»** و**«لمرة واحدة»** لكن لا يوجد ما هو ضروري في الإسلام نفسه لإثبات ذلك[٢].

١ ـ من حق الانسان الغربي أن يتبنى هذا الاعتقاد أو ذاك كما من حقه أن يطبق اي لون من الوان الديمقراطية أما الذي ليس من حقه فهو فرض هذا اللون من الديمقراطية على هذا الشعب او ذاك كما ليس من الصحيح الحكم على التطبيقات الاخرى: المنحرفة بالصحة بسبب كونها خرجت عن إرادة الولايات المتحدة الأمريكية فالوصاية التي رفضها الانسان الغربي في قرونه الوسطى هي نفسها التي يرفضها الانسان الشرقي.

٢ ـ الحاكمية في الإسلام لله والانسان مستخلف أما الحاكمية عـند الانسـان الغـربي فـهي للانسان وبهذا نجد الإسلام يرفض حاكمية الانسان على أخيه الانسان حيث يعده شريكا له في الحكم لامشرعا له وحاكما عليه.

[٦]

حرب من هي؟

خطر التخبّط في حروب الآخرين ...

افتتح هذا الملف بالإشارة إلى انّ جماعة صغيرة بإمكانها أن ترتكب أفعالاً ذات عواقب وخيمة. لو لم يفعل الـ١٩ عربياً ما فعلوه في ١١سبتمبر، بالتأكيد لما كان باستطاعة الولايات المتحدة أن تغزو أفغانستان، ومن المحتمل أنها ما أقدمت على غزو العراق واحتلاله. وهاتان الحربان بدورهما لهما نتائج على العلاقات الواسعة بين الإسلام والغرب. وكيف سيكون الشكل المحتمل لهذه العلاقة؟

اظهر الاستفتاء الذي أجراه مركز البحوث، بأن النتائج الآنية قد كانت تشوه سمعة أمريكا في أجزاء واسعة من العالم، لكن الكثير يعتمد على ما يحصل في المستقبل. فما من أحد كان لديه توقع عما يمكن أن يحل في أفغانستان، لا سيما وإنها مكان اضطرابات حتى قبل أن تصبح ضحية للحرب الباردة. العراق قضية أخرى، ظاهرياً تبدو قضية الاختبار التام، اختبار تزامني لقابليات الحكم الإسلامي[1]، ومصداقية النيات الأمريكية. هل بإمكان الدكتاتورية السابقة أن

---

١ ـ الحكم الإسلامي صيغة تعتمد النضج التاريخي والحضاري الذي يمهد له أما اذا جاءت

←

تصبح بلد الديمقراطية الذي يريده الأمريكان، وأن تكون كما يقول جورج بوش أنموذجا ملهما لبقية المنطقة، يخدم مصالحنا؟ أو هل أن فكرة قيام مثل هذه الديمقراطية سيقع في تناقض مع الثقافة السياسية العربية أو ثقافة الإسلام نفسه على اقل احتمال؟

الأشهر الأولى لم تكن رحيمة مع كل فرد يتوقع ديمقراطية **«على نمط جيفرسون»** تنهض متشكلة من رماد دكتاتورية البعث.

الذين عادوا من المنفى مثل **«احمد الجلبي»** الذي عاش في الغرب ويتكلم لغة الديمقراطية العلمانية، ظهر أن ليس له تماس مع رجل الشارع. وبدا أن أبرز القوى السياسية المنظمة في العراق هي الحوزة العلمية في النجف التي تتكلم باسم الإسلام وليس باسم أي قوى ديمقراطية علمانية. قاد هذا بعض المراقبين إلى استنتاج مفاده، أن العراق الديمقراطي مهمة شديدة العسر. فالأمريكان كنسوا دكتاتورية علمانية، فقط ليعبدوا الطريق أمام تشكيل ثيوقراطية شيعية على النمط الإيراني المعادي للغرب[1].

حقاً ستكون مفارقة. لكنّها ليست مؤكّدة أو حتّى ليس ما يقول الخطباء ورجال الدين انّهم يريدونه. في خطبة الجمعة في جامع الفلوجة الكبير ـ المنطقة التي أصبحت معادية للأمريكان ـ دعا الشيخ جمال شاكر اتباعه إلى العودة إلى الإسلام، وحمّلَ الماركسية والطغاة محنة العراق. لكنّه دعا الأمريكان كذلك إلى

← الأحداث بفعل معادلات خارجية فلا يصدق القول مثلا بأن ما يحدث في العراق اختبار للحكم الإسلامي.

١ ـ هل انّ التدافع والصراع الذي تخوضه الشعوب من أجل تحقيق ارادتها لا معنى له وانّ القرارات بيد الساسة فحسب وعلى هذا الأساس فأن بالامكان ايجاد اي حكم بعد ان كنس الأمريكان دكتاتورية علمانية ام هناك ارادة جماهيرية تتطلع لمستقبل مرغوب؟

جلب الديمقراطية، حتى يشعر العراقيون بأمان واطمئنان وينتخبوا حكومة عراقية صالحة تعطي كل ذي حق حقه.

من الصعب القول إنّ العراق معادٍ لفكرة الديمقراطية. اغلب مسلمي العراق هم من الشيعة، الطائفة التي تعتقد بأنّ سلطة الكائن البشري من الصعب أن تكون شرعية[١]، حتى عودة الأمام الثاني عشر، الأمام الغائب. والانفجار الذي وقع في النجف وقتل «محمّد باقر الحكيم» أحد قادة الشيعة الكبار في البلد، كان قد ترك السياسيين الشيعة في اضطراب عظيم[٢]. لكن اغلب الشيعة المتدينين يدركون الحاجة للتفاهم مع الشيعة العلمانيين وكذلك مع السنة والأكراد والأقليات الأخرى. وفي المناقشات الجارية عن كيفية تشكيل حكومة جديدة، كان الشيعة هم من أراد وجود تقاليد ديمقراطية للانتخاب لا للتعين. هكذا فالديمقراطية على الأقل هي المستقبل الممكن للعراق[٣].

وبعد، يبدو هنالك الكثير ليقال عن النموذج العراقي. فإن لم تتجذر الديمقراطية هناك، ليس بالضرورة أن يكون الإسلام مانعاً لذلك. وحقيقة كون ديمقراطيات هشة تزرع الآن في بلدان مختلفة مثل بنغلادش وإندونيسيا وتركيا وماليزيا - ولنترك الحديث عن العولمة الديمقراطية الساعية إلى إزالة حكم الاكليريوس الثيوقراطي من إيران -كلها تظهر بأن الإسلام نفسه ليس عدوا ثابتا

---

١ ـ لا يوجد أحد من رجال الشيعة يعتمد هذا القول وانَّ الخطاب القرآني والفقهي يؤكد بأن الأمّة مسؤولة في فترة غيبة الامام عليه السلام الذي يمثّل امتداداً للنبوّة كما انّ الاجتهاد يقوم بملء الفراغ السياسي والتشريعي.

٢ ـ المذهب له القدرة على ملء الفراغ وفيه من الديناميكية التي تستوعب كل مستجد.

٣ ـ في الفكر الشيعي او قل الإسلامي قدرة تكيفية ومرونة عالية تجعل المسلم في ظل مجتمعات واحكام مخالفة له اعتمادا على اسس وثوابت سابقة اقرتها الشريعة ويؤطرها الوطن الواحد.

للديمقراطية. وفشل نمو الديمقراطية في البلدان العربية الإسلامية ليس له من رابط مع الإيمان بل يمكن أن يعزى إلى شيء ابسط، خاصة حينما يرفض رجال السلطة تركها أو السماح للمشاركة بها.

وفي السياق نفسه، ليس هنالك حاجة لقراءة كبيرة في النموذج العراقي. إذا فشل العراق في أن يصبح ديمقراطياً، فإن العائق الأساسي أمام الديمقراطيين المزعومين في العالم العربي ليس غياب النموذج بل رفض الأنظمة الحالية ـ **«الفاسدين الضالين»** كما يسميهم دكتور أبو الفتوح ـ في أن تفسح الطريق. في العراق، اختارت أمريكا لأسباب عدة أن تقتلع اللص الضال المقيم في بغداد، لكن في الأقطار العربية الأخرى على الجماهير المحلية أن تجد سبيلاً لتفعل ذلك بنفسها[1].

هذا بالضبط ما يولد حيرة. فرغم إن أمريكا تود أن تكون نصيراً للحرية، إلا أنّ سياسة الأمر الواقع غالباً ما تفرض عليها حماية ورعاية أنظمة ممقوتة.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر طرح بعض الأمريكان الحل البسيط **«التغير»**. حيث أن الديمقراطية أمر جيد، لذا فإن دعم الديمقراطيين في العالم الإسلامي ـ في النهاية ـ سيكون لصالح العلاقات بين الإسلام والغرب. وبالتأكيد هناك احتمال ضئيل أن يتخاصم الناس الذين يتشاركون في القيم الديمقراطية.

■ ■ ■

١ ـ طبيعي بعد أن أدركتُ أن الدكتاتوريات المحلية قد اخفقت في اداء مهامها لصعوبة ترويض المجتمعات الإسلامية ودمجها في ركب الحضارة الغربية تأتي الديمقراطية كسبيل آخر يؤمن المصالح الغربية، وهذا ما جعل قبولها لون من المصالحة المرحلية وأمر مرغوب فيه لدى القوى المتصارعة.

زيف دواء الديمقراطية الشافي.. هذا المقترح بسيط جداً، لسببين: الديمقراطية هي منظومة قوانين أكثر منها منظومة قيم[1]. والمصوّتون للديمقراطية في العالم الإسلامي سيدعمون بحماس السياسات والقيم التي تناقض الغرب. فيما الناخبون المسلمون سيكونون اقل رغبة من قادتهم غير المنتخبين في العيش مع دولة إسرائيل، والتي يعد بقاؤها بنداً ثابتاً في السياسة الأمريكية. أو كما أظهرت حرب العراق، فإن الديمقراطيات الصديقة حتى، مثل تركيا قد تتضامن مع «**الأمة**» على أن تدعم ما تدعوه أمريكا الحرب على الإرهاب.

وبخصوص القيم، فإنّ نمط المجتمع الذي يبنيه الإسلاميون عندما ينتخبون كما ينبغي، قد لا يرضي كل امرىء في الغرب. الأحزاب الإسلامية قد تكون اشتراكية جداً بمعنى أنها تريد فرصة للوصول إلى السلطة ديمقراطياً. لكن هؤلاء الناس هم غالباً محافظون اجتماعياً، ففي ماليزيا المحكومة من المعارضة الإسلامية، هناك تحركات لتطبيق الحد على السارق - قطع اليد. وفي المغرب استدعت حركة العدل والإحسان وحزب العدالة والديمقراطية ألوف المتظاهرين للنزول إلى شوارع الدار البيضاء للوقوف بوجه إصلاح قانون العائلة الذي قد يعطي المرأة حقوق مساواة اكثر. رغم ذلك يمكن القول أن التقاليد وليس الإسلام هي التي تعيق تقدم المرأة في البلدان المسلمة، لذا فهو أمر تقليدي أن يكون القليل من الإسلاميين راغبا بالتغير.

التعقيد الثاني بشأن التغير اكثر تجذراً؛ كيف نشخص الديمقراطيين؟ من الصعب القول أن الأمر سيؤول «**لرجل واحد وصوت واحد ولمرة واحدة**».

ثم ننقب في اللاهوت ونسأل فيما إذا كان الإسلام في جوهره ديمقراطياً؟

---

١ ـ هناك من يذهب الى انها قيم أيضا.

في العالم الإسلامي، القوى الديمقراطية وغير الديمقراطية في صراع دائم، وكلا الجانبين يستحضر الأيمان، لكن ما من أحد في هـذا الديـن اللابـابوي يـملك السلطة ليضع حدا لهذا الجدال بطريقة أو بأخرى. وليس هناك من معنى لمحاولة الاستنتاج أي مِنَ الجانبين سينتصر؟ لنسلم بأن الديمقراطية ستنتصر في بـعض البلدان وتفشل في أخرى. لذا، ما الذي على الدول الكبرى المسكينة أن تعمله؟

منذ أحداث ١١ سبتمبر قال الكثيرون: من الخطأ أن يكون منظار أمريكا في السياسة الخارجية ماراً من خلال عدسة الحرب عـلى الإرهـاب. وهـم عـلى صواب لكن دفاع المرء ضد الإرهاب هو على اقـل تـقدير سـياسة ضـرورية وواقعية وكذلك سهلة للتوضيح والفهم. وسيكون خطأً فـادحاً، إن كـان مـنظور السياسة الخارجية الأمريكية يمر من خلال عدسة تصادم متخيل مع الإسلام.

بشأن الاستغاثة بالأمة، فإن اكثر من بليون مسلم يشكلون ما يطلق عـليه اختصاراً «**العالم الإسلامي**» ليسوا كتلة واحدة لها وجـهة نـظر واحـدة مـهمومة بالعلاقة مع الغرب. يعيش المسلمون في بلدان متنوعة حيث الحداثة والتـراث، العقل والأيمان، في موضع نزاع ـ على اقل تقدير ـ منذ القرن التاسع عشر. وحتى بعد أحداث سبتمبر وغزو أفغانستان والعراق، فإن الشاغل الرئيسي لـلـمسلمين استمر ليكون مقتصراً على الدولة في العالم الإسلامي، خصوصاً فـي بـلدانـهم، وليس في علاقتهم مع الغرب.

هذا لا يعني إن بإمكان أمريكا تجنب الصراع مع أشباه القاعدة. وان تكون خجلة من أن تتكلم جهاراً وبوضوح عن الديمقراطية التي خدمتها جيداً. لكـن عليها ـ أي أمريكا ـ أن تكون حذرة لتتجنب الخوض في اطروحات الآخر حول المعنى الحقيقي للإسلام، أو الافتراض إن الديمقراطية هي نقيض الإسلام. على المسلمين أن يجدوا حلاً لمثل هذه المجادلات وبطريقتهم الخاصة.

■ ■ ■

الشرق الأوسط الجديد

بقلم .. ريجارد اج هاس

مجلة فورن ايفر: عدد تشرين الثاني ـ كانون الاول ـ ٢٠٠٦

تماماً بعد قرنين على وصول نابليون الى مصر ليعلن حلول الشرق الاوسط الحديث ـ وحوالي ثمانين عاماً على زوال الإمبراطورية العثمانية، وخمسين عاماً على نهاية الكولونيالية، واقلّ من عشرين عاماً على نهاية الحرب الباردة ـ كان العهد الأمريكي في الشرق الاوسط قد انتهى.

العهد الرابع في تاريخ المنطقة الحديث. وسوف لن تتحقق رؤية جديدة للمنطقة، مماثلة لأوربا الديمقراطية المترفهة السلمية. والأمر الأكثر احتمالاً هو نشوء شرق أوسط جديد سيتسبب باذى لنفسه وللولايات المتحدة والعالم.

تحددت كل العهود بتفاعل القوى المتنافسة الخارجية والداخلية في المنطقة. وما كان متنوع هو التوازن بين هذه التأثيرات: يبشر عهد الشرق الاوسط الجديد ان يكون فيه اللاعبون الخارجيون ذوي تأثير معتدل نسبيا، وتتمتع فيه القوى المحلية باليد العليا ـ ويكون فيه اللاعبون المحليون أصحاب السلطة، راديكاليون عازمون على تغيير الوضع الراهن. وسيكون تشكيل الشرق الاوسط من الخارج صعبا الى حد بعيد. لكن في موازاة ادارة أسيا الديناميكية ـ سيكون ذلك التحدي الرئيس للسياسة الخارجية الأمريكية للعقود القادمة. ولد الشرق

الأوسط في نهاية القرن الثامن عشر. ولبعض المؤرخين، الحدث اللافت هو توقيع المعاهدة التي أنهت الحرب بين الامبراطورية العثمانية وروسيا، قضية كبرى يمكن ان تطرح هنا بشان أهمية دخول نابليون اليسير نسبيا الى مصر ١٧٩٨، الذي اظهر للاوربيين بأن المنطقة ناضجة للفتح وحفز المثقفين العرب للتساؤل ـ كما يستمر الكلام اليوم ـ لماذا تخلفت حضارتهم كثيراً عن أوربا المسيحية؟

الانحطاط العثماني الذي اجتمع مع التغلغل الغربي في المنطقة كان باعثا على تشكيل **«المسألة الشرقية»** بشان كيفية التعامل مع تأثيرات انحلال الإمبراطوزية العثمانية، حيث حاولت اطراف عديدة الاجابة وفقا لمصالحها منذ ذلك الحين.

انتهى العهد الاول مع الحرب العالمية الاولى، زوال الامبراطورية العثمانية، وقيام الجمهورية التركية وتوزيع غنائم الحرب بين المنتصرين الاوربيين. ما تلى ذلك هو عصر الحكم الكولونيالي المهيمن عليه من قبل فرنسا والمملكة المتحدة. انتهى العهد الثاني بعد حوالي أربعة عقود لاحقا. بعد ان استنزفت الحرب العالمية الثانية الاوربيين الكثير من قواتهم، ظهرت القومية العربية، وقد بدأت القوتان العظمتان التفاهم بينهما **«على أنَّ الذي يحكم الشرق الادنى يحكم العالم، والذي لديه مصلحة في العالم محكوم بأن يشغل نفسه بالشرق الادنى»** كتب المؤرخ البرت حوراني، الذي راى بصواب **«ان ازمة السويس ١٩٥٦ كنهاية للعهد الكولونيالي وبداية الحرب الباردة في المنطقة»**.

خلال الحرب الباردة، كما كان حال الوضع الذي سبقها لعبت القوى الخارجية دور المهيمن في الشرق الاوسط. لكن طبيعة المنافسة الأمريكية ـ السوفيتية أعطت للدول المحلية مساحة كبيرة للمناورة. كانت ذروة هذا العهد

حرب أكتوبر، التي أوقفتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي جوهريا في ورطة **«كش ملك»**، معبدة الطريق نحو دبلوماسية طموحة، وبضمنها اتفاقية السلام المصرية ـ الإسرائيلية.

رغم ذلك سيكون من الخطأ النظر الى العهد الثالث ببساطة كزمن المنافسة الحسنة الإدارة بين القوى العظمى. غيرت حرب حزيران ١٩٦٧ والى الابد توازن القوة في الشرق الاوسط، فقد استخدم النفط كسلاح اقتصادي وسياسي في حرب ١٩٧٣ وركز انتباه الولايات المتحدة على نقص الامدادات وارتفاع الاسعار. وخلف صنيعة توازن الحرب الباردة سباقا ملحوظا امتلكت به القوى المحلية في الشرق الاوسط استقلالية بينة للسعي من اجل اجندتها الخاصة. ثورة ١٩٧٩ في إيران التي اسقطت أحد اعمدة السياسة الأمريكية في المنطقة، اظهرت بأنّ الغرباء لايستطعون السيطرة على الاحداث المحلية. وقاومت الدول العربية محاولات الولايات المتحدة لاقناعها بالالتحاق في مشاريع ضد السوفيت. احتلال ١٩٨٢ الإسرائيلي للبنان فرخ حزب الله. واستهلكت الحرب العراقية الإيرانية هذين البلدين لعقود.

■ ■ ■

الصولجان الأمريكي..

انتهاء الحرب الباردة وزوال الاتحاد السوفيتي ولّد المرحلة الرابعة في تاريخ المنطقة التي فيها تمتعت الولايات المتحدة بتأثير غير مسبوق وحرية بالحركة. وكانت المميزات المهمة للعهد الأمريكي هي تحرير الكويت والتمركز الارضي والجوي بعيد المدى للقوة الأمركية في منطقة الخليج العربي، والمساهمة الدبلوماسية النشيطة في محاولة حل الصراع العربي الاسرائيلي قاطبة **«التي**

توجت بجهد ادارة كلنتون المكثف الذي لم يفلح في النهاية في كامب ديفيد»، واكثر من أي امر اخر، تتمثل هذه المرحلة بما يفكر فيه الان كـ**«الشرق الاوسط القديم»**. فقد تحددت المنطقة بالعراق العدواني والمحبط، وبأيران الراديكالية والمنقسمة والضعيفة نسبيا، واسرائيل الدولة الاقوى في المنطقة والقوة النووية المنفردة، وتقلب اسعار النفط، والانظمة العربية غير المستقرة التي تضطهد شعوبها، والمعايشة غير اليسيرة بين اسرائيل وكل من الفلسطينيين والعرب، والأكثر عمومية هو الاولوية الأمريكية.

ما جلب النهاية لهذا العهد بعد اقل من عقدين هو عدد من العوامل، البعض منها بنيوي والبعض ذاتي. الأكثر اهمية كان قرار ادارة بوش بمهاجمة العراق في ٢٠٠٣ وادارتها للعملية ونتائج الإحتلال. أحد خسائر الحرب كان العراق المهيمن عليه سنيا، والذي كان قويا جدا ومتحضرا جدا لموازنة ايران الشيعية. التوتر الشيعي السني[١]، الكامن لفترة، قد ظهر الان الى السطح في العراق وعموم المنطقة[٢]، فيما حصل الإرهابيون على قاعدة في العراق وطوروا من خلالها منظومة من التقنيات للتصدير في عموم المنطقة. فأصبحت الديمقراطية تقترن بفقدان النظام العام والأولوية السنية. العاطفة المناهضة لأمريكا، المتضخمة قبل الان، قد تم تعزيزها. وبتقيدها قسم هائل من القوات الأمريكية، فإنّ الحرب قد قللت من النفوذ الأمريكي في عموم العالم، انها إحدى مفارقات التاريخ ان

---

١ ـ لا يوجد من يعتقد بأن الإدارة الأمريكية لم تدرك تماما وجود ظاهرة التوتر المدعوم من دول الجوار العراقي المتحالفة مع الإدارة الأمريكية، والمسألة لا علاقة لها بالسنة ولا الشيعة لأن حكم صدام حسب اعتراف الإدارة الأمريكية كان علمانيا وكان مدعوما لمواجهة ايران الإسلامية.

٢ ـ الإرهاب وليد الثقافة المتطرفة المدعومة أمريكيا.

تكون الحرب، حرب العراق الاولى، حرب الضرورة، قد اشرت بداية العهد الأمريكي في الشرق الاوسط، حرب العراق الثانية، حرب الاختيار قد عجلت بنهايته

كذلك ثمّة عوامل اخرى قد كانت ذات صلة وثيقة بالموضوع. واحد هذه العوامل هو توقف عملية السلام الشرق الاوسط. تقليديا تمتعت الولايات المتحدة بقدرة منفردة للعمل مع العرب والاسرائيلين معا. لكن حدود هذه القدرة كشفت في كامب ديفيد لعام ٢٠٠٠ ومنذ ذلك فإنّ ضعف خلفاء عرفات وصعود حماس واعتناق اسرائيل لسياسة احادية الجانب، كلها قد ساعدت على احراج الولايات المتحدة وتعزيز حدود نفوذ ادارة بوش الحالية من اخذ زمام الدبلوماسية النافذة.

عامل اخر قد ساعد في جلب نهاية للعهد الأمريكي، كان مجسدا بفشل الأنظمة العربية التقليدية في مقاومة اتهام الإسلاموية الراديكالية. وفي المواجهة للاختيار الحرج بين ما يدركونه كقادة سياسيين فاسدين والقيادات الدينية المتذبذبة، الكثير قد اختار الأخير.

من جانب اخر دفعت هجمات ١١ سبتمبر القادة الأمريكيين للربط بين الانظمة المغلقة وحصانة الراديكالين. لكن رد فعلهم غالبا ما كان الدفع المتسرع للانتخابات بغض النظر عن السياق الاجتماعي المحلي ـ وقد وفرت للإرهابيين ومناصريهم فرصا للتقدم اكثر ممّا كانوا يملكون. واخيرا، العولمة قد غيرت المنطقة ايضا. أما الآن فقد أصبح الأمر اقل عسرا على الإرهابيين هو الحصول على تمويل وسلاح وافكار وكذلك على متطوعين. فضلا عن صعود ميديا الاخبار، وفي المقدمة الفضائيات قد حوّل العالم العربي الى **«قرية اقليمية»** وسيّسها. الكثير من المضامين المعروضة ـ مشاهد العنف والدمار في العراق،

صور اساءة المحتجزين العراقيين والمسلمين، المعاناة في غزة والضفة الغربية، والان لبنان ـ كلها قد ابعدت الكثير من مواطني الشرق الاوسط عن الولايات المتحدة. ونتيجة لذلك تواجه حكومات الشرق الاوسط وقتاً عصيباً في التعامل المكشوف مع الولايات المتحدة، وقد انحسر في المقابل تأثير الولايات المتحدة في المنطقة.

■ ■ ■

ماذا يوجد في الطليعة؟، الخطوط العامة للعهد الخامس للشرق الأوسط لاتزال تتشكل لكنها طبيعيا نتاج العهد الأمريكي. دزينة من الخصائص ستشكل السياق الاساس للإحداث اليومية:

أولاً: ستستمر الولايات المتحدة بالتمتع بتأثير اكبر من أي قوة خارجية داخل المنطقة، لكن تأثيرها سيتضاءل عما كان عليه سابقا. هذا يعكس التأثير المتنامي لعدد كبير من القوى الداخلية والخارجية والحدود الملازمة للقوة الأمريكية، وكذلك نتائج خيارات السياسة الأمريكية.

ثانياً: سيتم تحدي الولايات المتحدة الأمريكية على نحو متزايد من قبل السياسات الخارجية للغرباء الآخرين. سيعرض الاتحاد الأوربي القليل من المساعدة في العراق، ومن المحتمل أن يدفع نحو مقتربات مختلفة للمشكلة الفلسطينية. ستقاوم الصين أي ضغط على إيران، وستبحث عن ضمانات لتوفر إمدادات الطاقة. روسيا كذلك ستقاوم دعوات انزال العقوبات على ايران وستبحث عن فرص لتعرض استقلاليتها عن الولايات المتحدة. الصين وروسيا «**بالاضافة الى كثير من الدول الاوربية**» ستنأى بنفسها عن جهود الولايات المتحدة لإجراء الإصلاحات الديمقراطية في الدول غير الديمقراطية في الشرق الاوسط.

ثالثاً: ايران ستكون أحد اثنين من الدول الأكثر قوة في المنطقة. اولئك الذين يرون ايران مشرفة على تحول داخلي دراماتيكي هم على خطأ. لأن ايران التي تملك ثروة عظيمة هي صاحبة التاثير الأكثر قوة في الداخل العراقي، وتتمتع بنفوذ ملحوظ في حماس وحزب الله. انها قوة امبراطورية كلاسيكية مع طموح بان تعيد تشكيل المنطقة على صورتها وبوجود امكانية بأنّ تترجم اغراضها المنشودة الى واقع.

رابعاً: اسرائيل ستكون الدولة الاقوى الأخرى في المنطقة والدولة الوحيدة ذات الاقتصاد الحديث القادر على المنافسة عولمياً. والدولة الوحيدة في الشرق الاوسط ذات الترسانة النووية. كذلك تملك اسرائيل القوة العسكرية التقليدية الأكثر قدرة في المنطقة. لكن لايزال عليها تحمل كُلف احتلالها للضفة الغربية والتعامل مع التحدي الامني المتعدد الابعاد والجبهات استراتيجياً، اسرائيل اليوم في موقف ضعيف مقارنة مع ما قبل ازمة هذا الصيف في لبنان. وسيزداد وضعها تدهورا ـ شأنها شأن الولايات المتحدة ـ ان طورت ايران اسلحة نووية.

خامساً: أي شيء مماثل لعملية سلام قابلة للتطبيق هو امر غير محتمل في المستقبل المنظور. على خلفية العملية العسكرية الإسرائيلية الحالية في لبنان، فإنّ حزب كاديما الحاكم سيكون بالتأكيد جداً ضعيف لنيل الدعم المحلي لاي سياسة تفهم كمخاطرة او جزاء للعدوان. والهجمات التي تلت الانسحاب الاسرائيلي من لبنان وغزة قد شوهت الانسحاب احادي الجانب. وكذلك عدم وجود طرف قادر وراغب بالتسوية، اعاق حظوظ المدخل التفاوضي. ايضا فقدت الولايات المتحدة الكثير من موقفها كوسيط نزيه وموثوق، على الاقل في الوقت الجاري وفي غضون ذلك فإنّ التوسع الاسرائيلي وبناء الجدار العازل سيستمر بسرعة اسرع من الدبلوماسية العصية.

سادساً: العراق، تقليدياً مركز القوة العربية، سيبقى متسم بالفوضى للسنوات القادمة مع حكومة مركزية ضعيفة ومجتمع منقسم، وعنف طائفي منتظم. الاسوء هو ان يصبح العراق دولة تكف عن اداء وظائفها وتخربها حرب اهلية شاملة، ستدفع الى مشاركة جيرانه بنارها.

سابعاً: ستبقى اسعار النفط مرتفعة، نتيجة للطلب العالي من الصين والهند، والنجاح المحدود في كبح الاستهلاك في الولايات المتحدة، والامكانية المتواصلة في نقص الامدادات. هناك احتمالية كبيرة ان يتجاوز سعر البرميل مئة دولار، لا ان ينزل دون الاربعين.ايران والسعودية وغيرهما من المنتجين الكبار سينتفعون بتفاوت.

ثامناً: «العسكرة» ستستمر مسرعة. الجيوش الخاصة في العراق ولبنان والمناطق الفلسطينية، الان تصبح تدريجياً اكثر قوة، الملیشيات التي هي سبب ونتيجة للدولة الضعيفة، ستبرز اكبر حيثما كان هناك خلل واقعي او مدرك في سلطة الدولة وقابلياتها. حيث الاقتتال الحالي في لبنان سيفاقم هذه النزعة وحيث ان حزب الله قد كسب بتجنبه هزيمة كلية بينما خسرت اسرائيل بعدم تحقيقها نصراً كاملاً نتيجة ستشجع حزب الله واولئك الذي ينافسونه.

تاسعاً: الإرهاب المعروف كأستخدام قصدي للقوة ضد المدنيين لتحقيق اهداف سياسية، سيبقى سمة هذه المنطقة. سيحصل في المجتمعات المنقسمة التي تسعى فيها الجماعات الإرهابية الى اضعاف الدولة والشك فيها، مثل السعودية ومصر. سينمو الإرهاب بحنكة ويظل اداة مستخدمة ضد اسرائيل والوجود الأمريكي وغيرها من القوى الغربية على المنطقة.

عاشراً: الإسلام سيملأ وعلى نحو متزايد الفراغ الفكري والسياسي في العالم العربي، ويوفر الاسس لسياسات الأغلبية من قاطني المنطقة.

القومية العربية والاشتراكية العربية هي اشياء من الماضي. والديمقراطية تنتمي الى المستقبل البعيد في افضل الاحوال. الوحدة شعار لا حقيقية. تأثير ايران والجماعات المرتبطة بها قد تعزز بشكل اكبر. والجهود لتحسين الروابط بين الحكومات العربية واسرائيل والولايات المتحدة قد تعقدت. في غضون ذلك، فإنّ التوتر بين السنة والشيعة سيزداد في عموم المنطقة، مسبباً مشاكل في بلدان المجتمعات المنقسمة مثل البحرين ولبنان والسعودية.

إحدى عشر: هناك احتمالية ان تبقى الانظمة العربية تسلطية وتصبح غير متسامحة دينياً بشدة ومناهضة لأمريكا. وستتقدم مصر والسعودية، مصر التي تمثل تقريباً ثلث العالم العربي، قد ادخلت بعض الاصلاحات الاقتصادية البناءة، لكن سياساتها قد فشلت في التواصل بدون انقطاع. وعلى النقيض فإنّ النظام يبدو عازماً على كبح الحريات القليلة التي تمتلكها البلاد عارضا على الشعب خيارين: السلطة التقليدية او الاخوان المسلمين. المخاطرة اليوم هي ان المصرين في يوم ما سيختارون الخيار الثاني. ولا بسبب انهم يدعمونه بغير تحفظ، بل بسبب سؤمهم من الخيار الاول البديل، ان يستعير النظام الوان معارضيه الإسلاميين لينال اعجابهم، في عملية صعبة لينأى بنفسه عن الولايات المتحدة.

في السعودية تعتمد الحكومة والنخبة الملكية على استخدام عائدات الطاقة الضخمة في تهدئة الدعوات المحلية للتغيير. المشكلة ان اغلب الضغط الذي يستجيبون إليه ياتي من اليمين الديني لامن اليسار الليبرالي، وهذا ما دفع بهم لتبني اجندة السلطات الدينية.

أخيراً، ستظل مؤسسات المنطقة ضعيفة متخلفة كثيراً عن مثيلاتها في اماكن اخرى. وافضل منظمة معروفة في المنطقة هي الجامعة العربية تستبعد اقوى

دولتين في المنطقة، ايران واسرائيل. بقاء الصراع العربي الاسرائيلي سيستمر ليحول دون مساهمة اسرائيلية في أي علاقة اقليمية للاستمرار في الوجود. كذلك سيحبط التوتر بين ايران واغلب الدول العربية ظهور الاقليمية وسيظل التعامل التجاري الداخلي بين بلدان الشرق الاوسط متواضعا، لأن القليل من البلدان تعرض بضائع وخدمات تنشد الاخرى شراءها على نطاق واسع. وستستمر بضائع البنى التحتية المتقدمة بالقدوم من اماكن اخرى. والقليل من منافع التكامل الاقتصادي العالمي ستصل الى هذا الجزء من العالم، رغم الحاجة الملحة لها.

■ ■ ■

أخطاء وفرص ...

رغم انّ السمات الاساسية للعهد الخامس للشرق الاوسط الحديث هي الى حد بعيد غير جذابة، يجب ان لايكون هذا سبب للقدرية. فالكثير هو مسألة درجات. فهناك فرق اساسي بين شرق اوسط يفتقد الى اتفاقية سلام رسمية وآخر يعرف بالإرهاب والصراع الداخلي والحرب الاهلية، وبين شرق اوسط يشمل ايران وآخر تهيمن عليه ايران، وبين شرق اوسط ذي علاقات غير سهلة مع الولايات المتحدة واخر ملي بالكره للولايات المتحدة وكذلك سيعمل الزمن فرقا. العهود في الشرق الاوسط قد تستمر لقرن او ان تكون قصيرة لعقد او نصف عقد. من الواضح انه من مصلحة الولايات المتحدة واوربا ان يكون العهد الناشيء قصيرا قدر الامكان ـ وان يتبعه عهد اكثر اعتدالاً. وبضمان هذا يحتاج صناع السياسة في الولايات المتحدة لتجنب خطأين، بينما هم ممسكين بفرصتين.

الخطأ الأول: سيكون الافراط في الاعتماد على القوة العسكرية وبما تعلمت الولايات المتحدة من الكلفة العالية التي دفعتها في العراق **«واسرائيل في**

لبنان» القوة العسكرية ليست الدواء العام، فهي ليست نافعة وبشكل فضيع ضد المليشيات المنظمة المنفلتة والإرهابيين المسلحين جيداً، المقبولين من الجماهير المحلية والمهيئين للموت من اجل قضيتهم، وكذلك القيام بضربة استباقية على المنشات النووية الايرانية لن ينجز الكثير النافع، لا بسبب انها قد فشلت في تحطيم كل المنشات بل ان ذلك قد يدفع طهران الى ان تعيد تشكيل برنامجها بشكل اكثر سرية وتدفع بالايرانيين للالتفاف حول النظام وتقنع ايران بالرد على ـ الأكثر احتمالا عبر وكلائها ـ الولايات المتحدة في افغانستان والعراق ومن المحتمل مباشرة ضد الولايات المتحدة. وقد تدفع بالعالم العربي والإسلامي نحو راديكالية اكثر وتولد الكثير من النشاط الإرهابي ضد الولايات المتحدة. وقد يدفع ضرب ايران باسعار النفط الى ارتفاعات جديدة ويزيد من ازمة الاقتصاد الدولي والركود الاقتصادي الكوني. لكل هذه الاسباب، يجب ان ينظر الى القوة العسكرية كملاذ اخير.

الخطأ الثاني: سيكون الاعتماد على بروز الديمقراطية لتهدئة المنطقة. صحيح ان الديمقراطيات الناضجة لاتميل الى شن الحروب احداهما على الاخرى، لكن لسوء الحظ فإنّ خلق الديمقراطيات ليس بالمهمة اليسيرة، وحتى ان افلحت هذه الجهود في النهاية، فإنّ ذلك يتطلب عقودا. في غضون ذلك يجب على الولايات المتحدة الاستمرار بالعمل مع الكثير من الحكومات غير الديمقراطية. وكذلك فإنّ الديمقراطية ليست الجواب على الإرهاب. معقول ظاهريا، ان تكون هناك احتمالية اقل من أن يصبح الشاب والشابة الراشدة ارهابيين ان كانا ينتميان الى مجتمع يوفر لهم الفرص السياسية والاقتصادية. لكن الاحداث الاخيرة توحي بأنّ حتى اولئك الذين نشأوا ونضجوا في المجتمعات الديمقراطية مثل المملكة المتحدة، ليسوا مُحصنين من الانجرار الى

الافكار الراديكالية. حقيقة ان حماس وحزب الله قد اصابا نجاحاً كبيراً في الانتخابات ومن ثم نفّذا هجمات عنف يعزّز الفكرة القائلة بأنّ الاصلاح الديمقراطي لايضمن الهدوء. ستكون الدمقرطة ذات نفع ضئيل عند التعامل مع الراديكالين الذين لايحوي برنامجهم على أي امل في قبول دعم الاغلبية. المبادرات الأكثر نفعا ستكون الفعاليات المصممة لتغيير انظمة التعليم وتعزيز ليبرالية الاقتصاد والأسواق المفتوحة، وتشجيع السلطات العربية والإسلامية للتعبير بطرق تسحب الشرعية من الإرهاب وتعري مناصريه، وتعالج المظالم التي تحفز الشباب والشابات لتبنيه.

■ ■ ■

بخصوص الفرص التي يجب الإمساك بها..

الأولى: هي المزيد من التدخل في شؤون الشرق الاوسط وبأدوات غير عسكرية. بشان العراق، بالاضافة الى أي اعادة انتشار، للقوات الأمريكية وتدريب الجيش والشرطة المحلية، على الولايات المتحدة تأسيس منتدى اقليمي لجيران العراق «**خصوصا تركيا والسعودية**»، والأطراف الأُخرى ذات المصلحة، مماثل لذلك الذي استخدم للمساعدة في ادارة الاحداث في افغانستان التي تبعث التدخل هناك في ٢٠٠١.

عمل ذلك يتطلب جلب كل من سوريا وايران معاً، سوريا التي تستطيع التأثير في حركة المقاتلين الى العراق والسلاح الى لبنان، يجب ان تقتنع بغلق حدودها مقابل منافع اقتصادية «**من الحكومات العربية، واوربا والولايات المتحدة**» والالتزام بإعادة البدء بمباحثات حول الوضع في مرتفعات الجولان. في الشرق الأوسط الجديد، هناك خطر ان تكون سوريا راغبة بالعمل مع طهران اكثر من

واشنطن. لكنها قد التحقت بالتحالف الذي قادته الولايات المتحدة في حرب الخليج وحضرت مؤتمر مدريد للسلام ١٩٩١، إشارتان توحيان بانها قد تكون منفتحة للتعامل مع الولايات المتحدة في المستقبل.

إيران القضية الأكثر صعوبة. حيث ان تغيير النظام في طهران ليس شيئاً متوقعاً في المدى القريب، والضربة العسكرية ضد المواقع النووية في ايران ستكون خطرة، والردع غير مؤكّد، لذا فإنّ الدبلوماسية هي افضل الخيارات المتوفرة لواشنطن الآن. على حكومة الولايات المتحدة ان تبدأ مباحثات شاملة ودون شروط تنصب على البرنامج النووي الايراني ودعمها للارهاب والمليشيات الخارجية، يجب ان يقدم الى ايران حزمة من المحفزات الاقتصادية والسياسية والامنية يمكن ان يسمح لها ببرنامج محدود لتخصيب اليورانيوم العالي بمقدار سماحها للتفتيش الفجائي، مثل هذا العرض سينال دعم دولي واسع، وان فشلت الدبلوماسية، على الولايات المتحدة طلب الدعم لفرض عقوبات او تصعيد خيارات أخرى. جعل فقرات مثل هذا العرض عامة، سيزيد من فرص نجاح الدبلوماسية. يجب ان يعرف الشعب الايراني الثمن الذي عليه دفعه جراء السياسة الخارجية الراديكالية لحكومته. ومع قلق الحكومة في طهران من ردود فعل شعبية مناوءة، ستكون هناك احتمالية اكثر لأن تقبل العرض الأمريكي.

وكذلك على الدبلوماسية ان تنشط في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، الذي لايزال القضية التي تشكّل وتأجّج الرأي العام في المنطقة. الهدف في هذه المرحلة، ليس جلب الاطراف الى كامب ديفيد او أي مكان آخر، بل البدء بخلق الشروط التي بضوئها يمكن ان تكون إعادة البدء بالدبلوماسية مفيدة: على الولايات المتحدة ان تبين تلك المبادى التي تؤمن بأنها يتعين ان تبني عناصر

التسوية النهائية، بضمنها انشاء دولة فلسطينية على أساس حدود ١٩٦٧ **«سيتعين ان تسوي الحدود لضمان امن إسرائيل وعكس التغيرات الديمغرافية، وان يعوض الفلسطينيين عن كل الخسائر الناتجة عن هذه التسوية»** وكلما كانت الخطة تفصيلية وكريمة، كلما صعب الأمر على حماس لترفض المفاوضات وتفضل المواجهة.

انسجاما مع هذا المدخل، يتعين على المسؤولين الأمريكان الجلوس مع قادة حماس، تقريبا كالذي حصل مع قادة الشين فين، البعض من قادة الجيش الجمهوري الايرلندي، يجب ان لاينظر الى مثل هذه المقايضة على انها تكافئ تكتيكات الإرهابين بل كوسائل ذات امكانية للحصول على تصرف يتفق مع السياسة الأمريكية.

الفرصة الثانية: تشمل عزل الولايات المتحدة لنفسها قدر ما تستطيع عن عدم الاستقرار في المنطقة. هذا يعني كبح الاستهلاك الأمريكي للنفط، والاعتماد على مصادر الطاقة في الشرق الاوسط، اهداف يمكن ان تتحقق جيدا بتقليل الطلب **«مثلا بزيادة الضرائب على الضخ»**، وتعويض ذلك بتقليل الضرائب في أماكن أخرى وسياسيات تشجيعية ستسرع إدخال مصادر طاقة بديلة» وكذلك يجب على واشنطن اتخاذ خطوات اضافية لتقليل تعرضها للارهاب. مثل القابلية للإصابة بالأمراض، القابلية للإصابة بالإرهاب لايمكن ان تزول تماما. لكن هناك الكثير الذي يمكن ويجب ان يعمل من اجل حماية أفضل للأراضي الأمريكية والتهيؤ الأفضل للحالات التي يتعذر تجنبها عندما يفلح الإرهابيون في مخططاتهم.

تجنب هذه الأخطاء والإمساك بهذه الفرص سيساعد، لكن من المهم الإدراك بعدم وجود حلول سريعة وبسيطة للمشاكل التي يطرحها العهد الجديد. سيظل الشرق الأوسط جزءاً قلقا ومقلقا للعالم للعقود القادمة. وهذا فقط كاف لجعل المرء يحن الى الشرق الاوسط القديم.

الشيعة والسنّة، او ستكون حرباً ؟

«العراق هو المثال الواضح، لكنه ليس الوحيد، عن الخصومة الجديدة والمنذرة بالخطر بين السنة والشيعة»

مجلة الايكونومست / آذار ٢٠٠٦

حتى قبل الغزو قبل ثلاثة اعوام، كانت هناك تحذيرات بأنّ صدمة التغيير ستشضي العراق الى اجزاء اثنية وطائفية. مال العراقيون انفسهم الى طرد مثل هذه المخاوف. لكن شبح الحرب الاهلية يحض الأقلية السنّية المهيمنة سابقاً ضدّ الأكثرية الشيعية المنعتقة حديثاً، هذا الشبح يلّوح الان أكثر محذراً. في بواكير صباح ٢٢ شباط، تغلب المخربون على حراس ضريح العسكري في سامراء، شمال بغداد، أحد المراقد الشيعية المهمة. هدمت المتفجرات اكثر من القمة التي تغطي ضريح الامامين الذي يعتقد الشيعة انهما امتداد القرن العاشر والحادي عشر الميلادي للرسول. اشعلت القنابل فيض غير مسبوق من اراقة الدم الطائفي، فقد ما لا يقل عن ٥٠٠ شخص حياتهم، صرعوا بالتفجيرات الانتحارية او بغير ابطاء بطلق، لا لسبب الا لانهم ينتمون الى طائفة يخرج منها اعضاء مطالبين بالثار. رغم ذلك لا يزال بالامكان احتواء الارتفاع المفاجي الحالي في العنف. بعض العراقيين يتحدثون عن الاحداث كدعوة لليقضة قد تشجع للارتداد عن شفى الهاوية. لكن يوجد مظهر خارجي لا يرحم لدوره الانهاك التي بدأت في

آب ٢٠٠٣ بتفجير موقع شيعي آخر، مرقد الإمام علي في النجف، الذي قتل رجل دين بارز مع ٨٥ من اتباعه. الدعوات للتهدئة من قادة الشيعة كانت مؤثرة في البدء، لكنها فقدت مناشدتها مع الوقت. فبدات المجاميع الشيعية الغامضة باصطياد افراد من السنة. إحدى الفضائع الاخيرة هي الكشف عن وجود سجن في ملجأ في بغداد، حيث تمارس وزارة الداخلية، التي يقودها أحد اعضاء حزبٍ شيعي التعذيب الروتيني على اعداد لا حصر لها لمشتبهين من متمردي السنة[١]. زمر الميليشيا السنية ردت من جانبها بالثار مسببة احزان اكثر، ومتهمة الشيعة بالتعاون مع المحتل الغربي، فقد استهدفت الشيعة افراداً ومجموعات، في الجوامع والماتم ومحطات الباصات وفي أي مكان تمر فيه قوات الشرطة الوليدة التي تتزود غالبيتها بالرجال المتطوعين الشيعة. بشكل واضح فإنّ العنف قد دق اسفين في وعي العراقيين. وفي كل انتخابات اجريت منذ سقوط نظام البعث، فإنّ المصوتين يقترعون وبنسب عالية جدا للاحزاب ذات البرامج الطائفية على نحو بين. هذه الاحزاب بدورها قد حولت الوزارات الى مقاطعات مليئة بالاعوان. وفي مناطق مثل تلك التي تحيط ببغداد حيث تتداخل الطائفتان وبشكل وثيق، فإنّ النحر الطائفي قد دفع بالكثير من العوائل للنزوح الى المناطق التي يهيمن عليها افراد طائفتهم ـ دليل ضئيل لكنه مروع عن التطهير الطائفي.

كان يمكن للاوضاع ان لا تنعطف بهذه الطريقة، لولا المحن المتتابعة للتاريخ المعاصر. التمييز ضد الشيعة كان منتشراً ولكن بشكل معتدل عموماً قبل الحكم

---

١ ـ لايمثل سجن الجادرية أحد فعاليات الإرهاب كما يزعم وهو سجن قانوني تَعلم به الإدارة الأمريكية وكذا الحكومة العراقية وجمع غفير من الصحفيين وبعد الضجة الكاذبة والمفروضة قام وزير الداخلية العراقي أنذاك بفتح هذا السجن أمام الصحفيين وأسقط الذريعة وثبت أنّه قانوني.

القاسي والهائج لصدام حسين. نظامه الذي هيمنت عليه عشائر سنية، من مدينة تكريت، لم يكن يضطهد المسلمين الشيعة فقط وانما حطم وبشكل منظم الاسس البديلة لسلطة السنة. انهياره ترك السنة، العديد منهم من المناهضين بمرارة لنظامه، دون قيادة موثوقة يلتجئون اليها الا القيادات الدينية. مؤخراً اوضح تقرير لمجموعة ادارة الازمات الدولية، كيف فاقمت ثلاث سنوات من الإحتلال والانقسامات.

ولاحظت، مثلا، كيف بالغت الإدارة الأمريكية في تقييم تاثيرات السياسيين العراقيين العلمانيين الذين تفضلهم، وبشكل غير حاذق قد عززت الزمر الدينية بتطبيقها صيغة طائفية للتعيينات الحكومية. قد تكون التجربة العراقية متفردة، لكنها ابعد من ان تكون المثال الوحيد على التوتر بين السنة الذين يشكلون ٨٥٪ من ١/٥ مليار مسلم والفرق المتنوعة للاقلية الشيعية. في اماكن متباعدة مثل باكستان ولبنان ظهرت زخم نابذ يثير المشاعر الطائفية. ظهور ايران الثورية كقوة اقليمية طموحة مع امكانية امتلاكها للسلاح النووي، المترافق مع وصول الشيعة الى السلطة في العراق قد شجع على تاكيد للشيعة في العديد من البلدان حيث قد عاشوا محرومين تاريخيا. هذا بدوره قد زاد من ادراك السنة، لما يراه الكثير منهم، للغرباء في وسطهم. منح السلطة للشيعة قد ربط مع تطور راديكالي للشوفينية السنية. نظرة العربية السعودية الوهابية، قد اتخذت موقف شائك ومتشائم من الشيعة، لكن ذلك قد ضخم بالثروة النفطية **«التي تصادف انها موجودة في المنطقة التي يقطنها الشيعة»**. وحرفت من قبل البعض بعنف الجماعات الإرهابية، مثل القاعدة.

■ ■ ■

العيش سويّة سلمياً...

في الحقيقة، خلال اربعة عشر قرناً من عمر الإسلام، كان الإنقسام السنّي الشيعي سلمي. الجغرافية، الى حد كبير قد قسّمت الطوائف. الغرب الاقصى والشرق الاقصى من العالم الإسلامي كلاهما سنيان بالإجماع. بصعوبة يعرف المغاربة والاندونوسيون ما هو الشيعي. المصريون والبنغاليون يعرفون القليل عمّا يؤمن به الشيعة. يميل الشيعة الى التجمع في مجتمعات صغيرة منعزلة في وسط العالم الإسلامي ـ في المشرق، في شبه القارة الهندية، اليمن والخليج العربي والحافات الفارسية تاريخياً الناطقة بالعربية والتركية والاوردو. فيما يتعلق بالطقوس الاساسية مثل الصلاة والصيام، لا تختلف الطائفتان كثيراً. قبل المرحلة الحديثة اصطبغت ممارسات الإسلام السنّي بالكثير من المعتقدات الفلكلورية مثل تبجيل القديسين من المتصوفة، وذلك ما يخفف من التناقض مع الشيعة. في المدن المختلفة مثل بغداد وبيروت غالباً ما تتزاوج الطائفتان. وبعض القبائل العراقية تحتوي الطائفتين. وفي اوقات ازدهر الشيعة تحت حكم السنّة، في الهند المنغولية، فإنّ السنّة قد اصابهم النجاح تحت حكم الشيعة الفاطميين، وهم الشيعة الإسماعليون الذين حكموا مصر والمشرق وقلب ما يسمى العربية السعودية من القرن العاشر حتى القرن الثاني عشر، وحتى وقت قريب، فإنّ المعنيين من المسلمين قد عملوا على محاولات مخلصة للتسوية بين الطوائف. في عام ١٩٥٩، اصدر شيخ جامع الازهر، المدرسة السنّية الاولى، **«التي تأسّست تحت حكم الفاطميين»**. فتوى تعترف رسمياً بالتيار الشيعي الرئيسي كمدرسة شرعية للعقيدة. اليوم، يحظى العالم الشيعي مولانا غالب صادق بالكثير من الاتباع بين الشيعة والسنة سوية، لدعواته الصادقة لإسلام عالمي. ولطالما اعلن السيد صادق بأنّ الطائفتين تتشاركان بـ ٩٧ ٪ من معتقداتهما، محذّراً بأنّ المتشددين خطر

كبير على الإسلام، مثلهم مثل الكافرين. وكثيراً ما دعى قادة السنة والشيعة في العراق الى الوحدة الوطنية[١]. لكن الذي لا يثير الارتياح هو الادلة التي برزت وتشير الى أنَّ العناصر المتطرفة في النظام الايراني تقدّم مساعدات ماكرة الى الجماعات السنّية المتطرفة، وتسمح بعبور بعض اعضاء القاعدة من افغانستان الى العراق.

لكن خطر الصراع قد كان دائماً موجوداً، منذ قتل الخليفة الرابع الامام علي، بعد ٢٩ عاماً على وفاة النبي، والذي كان ابن عمّ النبي وابو أحفاده الحسن والحسين. كلمة شيعي مشتقّة من الكلمة العربية شيعة التي تعني الموالين لعلي. في البداية استخدمت للاشارة الى الفصيل السياسي الذي اعتقد بوجوب ان تبقى قيادة المجتمع الإسلامي بيد عائلة الرسول. وعندما آلت الخلافة بعد وفاة النبي الى عشيرة منافسة للرسول، فإنّ المجاميع المستائة وبضمنها غير العربية التي دخلت تواً الى الإسلام، التحقت بقضية الشيعة، التي استمدت الكثير من القوة العاطفية بعد استشهاد الحسين على يد الجيش السنّي.

■ ■ ■

---

١ ـ لكن الفضائيات الموجهة كالمستقلة التي تتخذ من لندن مقرا لها وكذلك الجزيرة القطرية أيضا قد حرضتا بوقت سابق وقبل سقوط النظام حيث قامتا بتهيئة الأجواء المتشنجة والداعية الى الفرقة بين المسلمين وللأسف استجاب لها الكثير من علماء السنة والشيعة كل ذلك من أجل أن تكون ثقافة الإرهاب سابقة للإرهاب نفسه مستفيدة من الاعتقادات المنحرفة لدى الطائفة الوهابية حتى اذا حقق بعض التقدم جاءت الحركات المدعومة من أمريكا او من الدول الاقليمية لتوجيه الإرهاب عمليا حيث تريد المصالح الأمريكية.

كيف بدأ كل هذا..

ومع الوقت تعمق هذا الانقسام السياسي الى انشقاق عقائدي، حيث وسعت كل طائفة تاويلاتها الخاصة بالشريعة، او القانون الديني. حافظ المسلمون السنة على وحدتهم بقبولهم لاربعة مدارس متنافسة كلها متساوية وقانونية وشرعية وذات تنوع صارم. اتبع المسلمون الشيعة مسار مختلف، فقد انشقوا الى طوائف ونحل للاجابه على السؤال من يعترف به كامام، القائد الذي يرتبط دمه بالنبي، حيث يقر به كمؤول لا يخطي لإدارة الرب. وبينما اعترفت اليزيدية بخمسة ائمة، اعترفت الاسماعيلية بسبعة، والجعفرية باثني عشر، حتى تحولت الامامة الى الاحتجاب، اختفى الامام لكنه سيعود يوم ما. الفرقة السائدة بين شيعة العراق هي الجعفرية، واغلب التجمعات الاسماعيلية متناثرة وصغيرة، بينما الفرق الاسماعيلية الخفية مثل الدروز والعلويين السوريين بقيت متمركزة في حصون الجبال في الشرق، ملجئهم التاريخي من الاضطهاد.

رغم تباعدها الواحدة عن الاخرى في الاعتقاد، بقيت الفرق الشيعية تحتفظ بتراتبيه اكليركية. الجعفرية الذين يكونون تسعة من كل عشرة من الشيعة، يدعمون ما يشبه اكليريكية الكنيسة من خلال تطبيق الضريبة. يتوقع ان يدفع المؤمنون خمس العائد السنوي الشخصي الى اي من أحد آيات الله المتنافسين[١]. الذين يختاروهم كمرجعية. او مصدر سلطة. هذه الضريبة قد اعطت لرجال الدين الجعفرية السلطة و الاستقلال معا. بينما يدفع ضغط اختيار الناخبين بهم نحو تفسير نسبي ابداعي للنصوص. لفرض القوانين حول اشياء مثل الميراث والزواج تبدو قراراتهم مسيرة في بعض الاحيان بالاعتبارات العملية

---

١ ـ هناك نظام للقيادة والولاية والخلافة قد أسّسته العقيدة ولم تكن من اجتهادات الشيعة وإنّما مبادىء تلزم الانسان المسلم، بغض النظر عن مذهبه سواء كان شيعيا أو سنيا.

قدر النصوص المقدسة. مال رجال الدين السنة في العراق الى النظر باتباع الجهاد ضد الإحتلال كفرض ديني ملزم، لكنهم تنازعوا حول الطريقة المثلى لممارسته. على النقيض، فإنّ اغلب الشيعة قد اذعن للكلمات الهادئة لاية الله علي السيستاني، المرجعية الاولى في البلاد كانت استشارته تنص على الرغم من ان الكافرين المحتلين هم تهديد فإنّ وجودهم يبدو وقتيا، لذا ليس هناك من حاجة الى مقاومتهم جسديا ما دام وجودهم يجلب بعض النفع(١).

■ ■ ■

الاجندة الاكليركية ..

هناك بعض المعنى الاستعاري لمثل هذه المجادلات. المعنى الرئيس الذي في ذهن آية الله هو نهاية قرون من هيمنة السنة، التي تراكمت بسحق صدام حسين الوحشي لانتفاضة ١٩٩١. بينما المخاوف الحقيقية التي اججت المقاومة السنية العنيفة لم تكن الخوف من ان يصبح العراق مستعمرة امريكية. وانما ان يغمروا ويهمشوا سياسيا من قبل الاغلبية الشيعية ٦٠٪، المدعومة من قبل الايرانيين غير العرب(٢).

---

١ ـ هذا المنطق إن صحَّ فهو سليم ولكن ما يحدث في الواقع أنَّ الجمهور السني لم يوجه ضد الإحتلال وانما قد وجه ضد اخوانهم الشيعة.

٢ ـ لاندري فهل أنَّ الشيعة مدعومين من قبل ايران ومتى ام من قبل الإحتلال وهل ان الشيعة في العراق يحظون بالدعم من كلا الطرفين وبسبب ماذا وهل نتائج هذا الدعم للشيعة بسبب البغض الأمريكي للسنة بالذات لانهم سنة وكيف نفسر الدعم الأمريكي لصدام ضد البلد الشيعي إيران، فهل كون صدام سنيا ام بسبب البغض الأمريكي للشيعة وهل يحق لنا أن نقول بأن أمريكا لاعلاقة لها بالسنة ولا بالشيعة وانما تحركها المصالح وعلى المسلمين أن يدركوا المعادلة.

ويبين العدد المتزايد للمتطرفين السنة، هناك خوف اضافي بأنّ الشيعة طابور خامس ومهمتهم التاريخية هي نسف الايمان. التكفيريون، الطهرانيون المغالون السنّة، يدينون الشيعة كمرتدين عن الإسلام ويدعون ان هناك شرعية في قتلهم **«ادّعى الشيعة أنّهم قد استهدفوا جوامع التكفيريين للإنتقام»**. المتمردّون العراقيون الراديكاليون، المصطفون مع القاعدة، قد اوقعوا الخسائر الاشد رعباً، ليس ضد القوات الأمريكية، بل ضد المواطنين الشيعة العزّل.

الإعتقاد بغدر الشيعة قد حض على تمييز ضد المجتمعات الشيعية في أماكن اخرى. الهجومات الطائفية الآثمة في باكستان قد استهدفت الاقلّية الشيعية في البلاد ٢٠٪، **«كلفت ٤٠٠٠ فرد في العقدين السابقين»**، غالبا ما فسرت على انها هجوم مسلح ضد المتسللين الهنود من قبل عملاء موهومين. في بعض الأوقات تنسب الهجومات الى مخربين هنود في المقام الاول. يميل السعوديون الى تبرير الممارسات التميزية ضد الاقلية الشيعية في المملكة ١٥٪، مثل رفض ترقياتهم الحكومية، على اساس انّ ايران، ومن المحتمل امريكا، تريد ان تجندهم كجزء من مؤامرة للسيطرة على حقول النفط الواقعة على طول ساحل الخليج المسكون بشكل كبير من الشيعة. **«لكن ذلك لا يفسر الاضطهاد القاسي ضد التجمعات الاسماعيلية[1]. التي تعيش في المناطق الخالية من النفط في جنوب المملكة»**. الخوف من ان الاغلبية الشيعية ٦٠٪ في البحرين سينخرطون تحت قيادة آيات الله الاجانب هو أحد الاسباب التي تمنع المملكة من منح مواطنيها حقوق اكثر. وبارانويا مماثلة قد تكون حثت الحكومة المصرية في ٢٠٠٤ على توقيف الاعضاء القياديين للاقلية الشيعية الصغيرة والتحفظ عليهم بموجب قوانين الطواري. في موضوعة لبنان، هذه المخاوف اقل انانية واكثر عيانية. الشيعة

---

١ ـ لا يوجد شيعة اسماعيلية في السعودية الموجود فقط هم الشيعة الإثنا عشرية.

الافقر في بلد متعدد الطوائف ظهروا في الحرب الاهلية ١٩٧٥-١٩٩٠ كقوة منظمة جدا، ويعود ذلك الى حزب الله، الحزب المسلح الذي قاد المقاومة لطرد الإحتلال الاسرائيلي الطويل والمتسم بالفوضى للجنوب اللبناني، الذي يهيمن عليه الشيعة. لكن الممول الرئيسي لحزب الله هو ايران، حيث يعتبر الحزب رسمياً آية الله خامنئي المرجعية الروحية. بالضد من الاتجاهات المضادة لسوريا التي اكتسحت القيادة السياسية اللبنانية، ظلّ حزب الله موالياً لسوريا بسبب تحالف سوريا مع ايران. العديد من اللبنانيين، وبضمنهم القليل من الشيعة، يتهمون الان المجموعة التي تقود البلاد بالارتهان الى السياسة الايرانية، خصوصا في المواجهة الجارية بين ايران و اسرائيل. الامثلة على العداوة الطائفية تتكاثر. في العام الماضي، في الهند انفصل المسلمون الشيعة عن المجلس العام الثابت الذي يحكم العائلة المسلمة وشكلوا مجلسهم الخاص بهم. بعدها بوقت قصير قتل ثلاثة افراد في حادث شغب في مدينة لوكونو المختلطة. في الكويت الهادئة، حيث صرح الشيعة رسمياً بأنّ حصتهم ٣٠٪ من السكان لا تتناسب مع عدد المواقع الوظيفية العليا الممنوحة لهم، نثرت ميليشيا سنيّة الرصاص على جامع شيعي.

■ ■ ■

إنّها سياسات حمقاء ..

إن أخذنا ذلك سوية فإنّ ما تظهره هذه الامثلة هو ان الانشقاق الجوهري بين الشيعة والسنة بدأ بانقسام رئيس، قد كان له فعله بالسياسة اكثر من العقيدة. فإنّ تصرّف الشيعة كخونة، فذلك قد كان لإنّ نجاتهم تعتمد على وحدتهم الداخلية واحياناً باصطفافهم مع القوى الكبرى. وبخصوص الخوف الذي عبّر عنه الملك

الاردني عبد الله في نهاية ٢٠٠٤، من تشكّل **«قوس شيعي»** يمتد من لبنان عبر العراق الى ايران والخليج، فقد لوحظ بأنّ الشيعة انفسهم ليس بالضرورة يتشاركون نفس المصالح السياسية[١]. ايران، مثلاً، تفضل ارمينيا المسيحية على اذربيجان الشيعية[٢]، في خلافهما البغيض حول الحدود. الكثير من الشيعة في العراق قد اربكهم وافزعهم حماس إخوانهم اللبنانيين في حزب الله في المقاومة الدائمة ضد الشيطان الاكبر، الذي بعد كل شيء، هو الذي أنقذهم من حكم البعث. رجال الدين الشيعة أنفسهم بصعوبة متحدّين، ونادراً ما كانوا كذلك. فطوال القرن التاسع عشر تصادمت الطواقم التي تدعم آيات الله المتنافسين في النجف المقدّسة. وفي العصر الحديث جرت مناقشات مريرة حول القضية العصية علاقة الدين بالدولة. اثار آية الله الخميني معارضة شديدة من المرجعيات الأُخرى لإعلانه ولاية الفقيه، التي تعني انّ علماء العلم الديني فقط مؤهلون للحكم الارضي. حتى في ايران، العديد من رجال الدين يعتقدون بأنّ التقرّب من السلطة يلوّث اكثر ممّا يزيّن سمعتهم. وفي العراق، جزء من ممانعة السيستاني لالتزام اتباعه بالجهاد يرتكز على عدم رغبته باتخاذ عباءة القائد العسكري[٣]. اذن

---

١ ـ الذي يخافه الملك الأردني هو سقوط عرشه ومجيء الديمقراطية وحكم الشعب.

٢ ـ النزاع بين الحكومات لابين الشعوب، نعم الطغاة يرحلونه لشعوبهم من أجل الإحتماء ورائهم.

٣ ـ الأمر ليس بيد السيد السيستاني ولا بيد غيره وإنّما هناك أسس عقيدية تعلمها الشيعة عن أئمتهم تحرم التعاون مع الظلمة حتى جاء عن أحدهم عليه السلام «لا تعنهم حتى في بناء مسجد» أما أساليب الجهاد والمواجهة فهي تخضع لشروط ومقدمات لابد من توفرها فلا يعرف الشيعة شيء أسمه المساومة كما لا يعرفون شيء أسمه العنف، الحوار والحكمة ومصلحة الأمة والحفاظ على هويتها هي الملاك لكثير من مواقفهم وخير دليل على ذلك الوقوف في التصويت على الدستور والانتخابات للحكومة ومجالس البلديات وغيرها.

احتمالية التحالف الشيعي الأكبر هو أمر ضئيل. وحيث انّ الخلافات بين الشيعة والسنّة هي سياسية الى حد كبير، بالتأكيد انّها ممكنة الحل. رغم ذلك، هناك وعي متزايد من كلا الطائفتين، ليس في العراق فقط، لنوع ما من المكاشفة التاريخية الوشيكة. أحد العوامل هو اضطراب الموازنات القديمة بتدخل القوى الغربية، ليس في العراق فقط، وانما في افغانستان، وبشكل واسع من خلال الحملة الكونية ضد الإرهاب الإسلامي. لكن هذا التدخل قد استفز والى حد كبير بشي اخر، راديكالية اعداد كبيرة من المسلمين السنة، المتاججة بافكار العودة الى الإسلام «النقي» ووحدة المسلمين في دولة واحدة على نموذج الخلفاء الاوائل.

اشهر مروِّج لهذه الافكار هو اسامة بن لادن الذي لطالما حاول وبعناية الاحجام عن الاشارة الى الشيعة. رغم انه واتباعه مناصرين الى مدرسة الفكر المتاثرة بالوهابية السعودية. والتي تتبنى الطائفة المنافسة وتشكل تهديد الى الإسلام ككل. قبل غزو افغانستان، فرض بن لادن، المحمي من قبل طالبان، برامج خالية الرحمة وقائمة على اسس طهرانية على الاقلية الشيعية الهزارة. وقد فجرت الاحزاب الباكستانية المتحالفة مع القاعدة الجوامع الشيعية واحرقت الكثير من القرى الشيعية، ببساطة لأنهم يعتقدون بأنّ الشيعة كفرة. يشير الزرقاوي، القائد الميداني لابن لادن في العراق، الى انّ الشيعة «رافضة» ـ المعنى الوهابي القديم يعني «النابذون» او المرتدّون ـ وهم العدو الأقرب، على النقيض من العدو الأبعد، ويقول هم «الأكثر هدماً». الغالبية العظمى من المسلمين السنّة ترى انّ هذه الافكار مثيرة للاشمئزاز، رغم ان الاشكال المعتدلة من الشوفينية السنّة تفضي الى تاثيرات مؤذية. يميل المحلّلون الباكستانيون الى اعتبار الثمانينيات بداية النزاع الطائفي عندما حاول الجنرال ضياء الحق دعم شرعيته بفرض القانون الإسلامي. المشكلة ان قوانينه هي قوانين الاغلبية السنية التي

جوبهت بمعارضة من الشيعة. هذه المعارضة بدورها دفعت المتشددين السنة لتشكيل مجاميع لجان اهلية، وفي بعض الاحيان يجنّدون الفلاحين بصورة عامة، العاملين في مزارع يملكها الشيعة. النتيجة قتل متبادل تراكم في تفجيرات دموية للمساجد الشيعية.

■ ■ ■

الدروس المستفادة من كل هذا ..

انّ هناك شيء في التجربة الباكستانية، إنّه الدرس الذي ادركه السيستاني والكثير من قادة الشيعة. فإنّه لفكرة سيئة، وخصوصاً، في مجتمع متنوّع، جمع الدين مع الدولة. يبدو ذلك انّه الدرس الذي على بقية المجتمعات الإسلامية تعلم الطريق الوعر المفضي اليه حيث يأخذ التعبير السياسي الصيغة العلمانية. ولحسن الحظ، يبقى النموذج المتطرّف للعراق استثناء. وحتى هناك، فإنّ الدافع الضمني للتقيد بالطائفة هو في الحقيقة فقدان الامكانيات البديلة للولاء السياسي لمصداقيتها. وهذه ظاهرة مؤقتة، نتجت عن فشل الاحزاب العلمانية وقياداتها مثل صدام حسين. ومع الوقت، فإنّ مسلمي الطائفتين المتمسكين الان بالتمظهرات الصغرى للاسلام السياسي، قد يجدون ارضية مشتركة لسياسة علمانية هي افضل مكان للنضال من اجل حقوقهم.

لماذا لم تهاجم القاعدة الولايات المتحدة مرة اخرى؟

مجلة فورن افيز العدد ٥ المجلد ٨٥ سبتمر / اكتوبر ٢٠٠٦

اسطورة العدو كلّي الوجود

طوال السنوات الخمس الماضية، كانت الولايات المتحدة تستمتع وبانتظام بالتنبأ المنذر بكارثة هجوم كبير آخر للقاعدة داخل الولايات المتحدة. في العام ٢٠٠٣، التقت مجموعة من ٢٠٠ شخصية من المسؤولين الأمريكين الكبار ورجال الاعمال التنفيذيين، وتكلّموا عن احتمالية ضربة ارهابية اشد دماراً من هجمات ١١ سبتمبر ـ من الممكن ان تكون متضمنة اسلحة دمار شامل ـ ستقع قبل نهاية ٢٠٠٤.

وفي ايار ٢٠٠٤، حذّر النائب العام جون اشكروفت من انّ القاعدة قد **«تضرب بقوّة»** في الأشهر القليلة القادمة وانّ ٩٠ ٪ من ترتيبات الهجوم على أراضي الولايات المتحدة قد تمّت. وقبل ذلك الربيع، نشرت مجلة نيوزويك تقاريراً تشير الى اعتقاد سائد بين الرسميين **«بأنّ القاعدة ستضرب في فترة التحضيرات لانتخابات ٢٠٠٤»**. وعندما فشلت **«مفاجئة اكتوبر»** في ان تتجسد مادياً، تحول مركز الاهتمام قليلا: قيل ان شريطا لابن لادن، يظهره واهن جدا ليضرب قبل الانتخابات، لكنه ينظم مصادره لينفذ ضربته خلال اشهر بعد ذلك.

يرد في الصفحة الاولى للبيان التأسيسي لوزارة الامن الوطني المدعومة مالياً بقوة: «**يستطيع الإرهابيون اليوم الضرب في أي مكان وفي اي وقت، وفعلياً باي سلاح**».

لكن ان كان من اليسير عليهم التسبب بهجوم وقد تلبستهم الشياطين، لماذا لم ينفذ ذلك لحد الان؟ لماذا لايقنصون الناس في محلات التبضع، يهدمون الانفاق على من فيها، يسممون مصادر تجهيز الطعام، يقطعون مصادر امدادات الكهرباء، يتسببون في ازدحام كبير في الطرق، او يستغلون المنشأت الاخرى القابلة للسقوط بين الاعداء، والتي وفقا لخبراء الامن، يمكن بسهولة استغلالها؟

واحد من التفسيرات المقبولة هو ان: ما من ارهابين موجودين في الولايات المتحدة والقليل منهم يملك الوسائل او الميل للضرب من الخارج. لكن هذا التفسير نادرا ما قدم.

التهويش والمغالات..

بدلاً من ذلك، يُخبر الأمريكان وغالباً من نفس الذين قد تنبئوا مرة بالهجومات الوشيكة بأنّ عدم حصول هجمات ارهابية دولية في الولايات المتحدة يعزى الى قدرة الاجراءات الوقائية التي وضعت موضع التنفيذ بسرعة وبتكلفة عالية بغد ١١ سبتمبر، لكن توجد اشكالية مع مثل هذا الجدال. حقا، لم تحصل حوادث ارهابية في الولايات المتحدة منذ السنوات الخمس الاخيرة، لكن كذلك لم تحصل في اي من السنوات الخمس التي سبقت ١١ سبتمبر، وفي وقت كانت الولايات المتحدة فيه تفعل القليل جدا لحماية نفسها. فلم يكن يحتاج الأمر الا فقط لشاب او شابين مع بندقية او متفجرات لإرهاب جمع كبير من الناس، كما جرى مع قناص واشنطن في ٢٠٠٢ وطبقا لذلك، فإنّ اجراءات

الحكومة ستكون كاملة على نحو وثيق لاحباط كل هذه الخطط. لكن ان اخذنا استجابة الحكومة غير المتكاملة وبشكل بارز الى اعصار كاترينا والفشل الكارثي في برامج وكالة الامن القومي و FBI لتحديث حواسيبهم من اجل تنسيق المعلومات الاستخبارية، يبدو مثل هذا التفسير بعيد الاحتمال. بالاضافة الى ذلك، فإنّ اسرائيل لاتزال تمارس الإرهاب باجهزة امنية واسعة جداً.

لقد اصبح عسيرا ـ وبشكل جلي ـ على الإرهابيين الدخول الى البلاد. ولكن مع قدوم الالوف كل عام، ليس الأمر مستحيلاً جداً. اجراءات الهجرة تمّ تشديدها فعلياً **«وبكلفة باهضة»**، لكن الزوّار والمهاجرين لا يزالون يتدفقون على البلاد، فهنالك ما يزيد على ٣٠٠ مليون اجنبي شرعي يدخلون البلاد كل عام، وبين ١٠٠٠ الى ٤٠٠٠ مهاجر غير شرعي يعبرون الحدود كل يوم، حتى لا نقول شيئا عن الكميات الكبيرة من المواد الممنوعة لم تكن الحكومة قادرة على اعتراضها او اكتشافها بالرغم من عقود طويلة من **«الحرب على المخدرات»** الشديدة والمموّلة جيّداً.

وكل عام يعبر مواطنو البلدان الإسلامية، ومن المحتمل مئات يكتشفون بين التدفق غير الشرعي القادم من المكسيك، ومن المحتمل ان الكثير قد يستطيعون النفاذ: الإرهاب لا يحتاج الى قوة واسعة. ومخططو اعتداءات ١١ سبتمبر على افتراض ان ذكور الشرق الاوسط لديهم مشاكل في دخول الولايات المتحدة شرعيا بعد الاعتداءات، قد وضعوا في خطة حركتهم الاعتماد بعد ذلك على جوازت سفر غير عربية من بلدان اوربا وجنوب شرق آسيا.

وان كان منفذو القاعدة مصمّمين وخلاقين كما يفترض، فانّهم يجب ان يكونوا هنا الان واذا لم يكونوا هنا، فإنّهم لم يحاولوا بالأمر كما ينبغي، او قد يكونوا اقل تفانياً وشيطانية وكفاءة من ما تقدّمه صورتهم الشائعة.

هناك تفسير شعبي آخر لحقيقة عدم حدوث اي هجومات في امريكا، يؤكد بأنّ غزو افغانستان في ٢٠٠١، قد مزق القاعدة وعملياتها.

لكن مثل هذا الادعاء هو بشكل مشابه غير مقنع. فتفجيرات قطارات مدريد ٢٠٠٤ قد نفذتها مجموعة صغيرة من الرجال الذين لم يكونوا مطلقا في افغانستان، بل القليل منهم قد تدرب في معسكرات القاعدة. رغم كل الصعاب، انجزو هجمات غير انتحارية بـ١٣ قنبلة مسيطر عليها عن بعد، عشرة منها انفجرت في الوقت المحدد لتقتل ١٩١ وتجرح اكثر من ١٨٠٠ فرد. التجربة مع هذا الهجوم، وكذلك مع هجمات لندن ٢٠٠٥، تؤكد، كما اشار مسؤولان سابقان في مكافحة الإرهاب، دانيال بنجامين وستيف سايمون، على نجاح الهجوم الإرهابي: ما هو ضروري هو ما قلّ حمله والأقلّ اكتشافاً من بين ادوات عدّة الإرهابي: **«الافكار نفسها»**.

وفي احيان اخرى يشار الى ان الإرهابيين مشغولون الان بقتل الأمريكان واخرين في العراق ليكرسوا الوقت والقوى البشرية او الطاقة الضرورية لانجاز افعال حقيقية مشابهة لهجمات سبتمبر، لكن ارهابيين متعاطفين مع القاعدة او واعين بها قد افلحوا في تنفيذ هجمات في مصر، تركيا، المملكة المتحدة، واماكن اخرى في السنوات الثلاثة الماضية، ولا نشير هنا الى الافعال الفردية التي يقوم بها رماة القنابل الملتحقين في النزاع العراقي.

من الممكن، ان يذهب البعض للقول ان الإرهابيين غير قادرين على تنفيذ هجمات في الولايات المتحدة بسبب ان مجتمع المسلمين في امريكا قد اندمج جيداً في المجتمع الأمريكي على النقيض من مجتمعات المسلمين في اوربا.

لكن يمكن قول نفس الأمر عن المملكة المتحدة التي شهدت هجوماً ارهابياً في ٢٠٠٥. والبلدان الاوربية صاحبة التجمعات الإسلامية الاقل اندماجاً، مثل

المانيا وفرنسا والنرويج عليها ان تواجه هجمات ارهابية محتملة.

في الحقيقة، لو ان الإرهابيين اذكياء جدا عليهم تجنب التجمعات الإسلامية لأنّها المكان الذي يكثر فيه وكلاء الشرطة بحثا عنهم. ومنفذوا هجمات سبتمبر قد وجهوا بشكل عام ليبتعدوا عن الجوامع والمسلمين الأمريكين.

وقد اظهرت مؤامرة مدريد ان المؤمرات الإرهابية بالغة الصعوبة نادرا ما تحتاج الى دعم شبكات واسعة لتنفيذ مخططاتها. تفسير شائع اخر هو ان القاعدة توجه وقتها بحرفية، ولكن لاي شيء؟ هجمات ١١ سبتمبر تطلبت عامين فقط لتنفذ. ولاحقا هجمات مدريد الإرهابية المنسقة جدا والمدمرة في ٢٠٠٤، قد فكر فيها وخطط لها ونفذت خلال ستة اشهر. فجرت القنابل بعد اقل من شهرين على شراء المتآمرين للشحنة الاولى من الديناميت مقابل حشيش **«مخدرات»**.

«وكذلك هجوم ماك في مدينة اوكلاهوما تطلب اقل من شهرين» اخذين بنظر الاعتبار الاستفزاز الشديد الذي سببه غزو العراق ٢٠٠٣، قد يعتقد المرء بأنّ الإرهابيين سيندفعون لتغير توقيتاتهم نحو سرعة اعلى. وان كانوا صبورين، لماذا يدعون وباستمرار بأن هجوم آخر بات وشيكا جداً؟

لقد كان ذلك في العام ٢٠٠٣ عندما وعد قادة القاعدة الكبار بهجمات في كل من استراليا، البحرين، مصر، ايطاليا، اليابان، الاردن، الكويت، قطر، العربية السعودية، الولايات المتحدة، اليمن بعد ثلاثة اعوام، بعض هذه القنابل قد انفجر في السعودية، مصر، اليمن، الاردن، **«وكذلك في تركيا التي لم تدرج في القائمة»**، وليس في اي بلد اخر هدد علنا. كانت تلك الهجمات ماساوية، لكن تفرقها يمكن أن يؤخذ كدليل على ان الأمريكان المحذرين ليس هم فقط من وقعوا في فخ التهويش والمغالاة.

■ ■ ■

ارهابيون تحت الفراش..

التفسير الأكثر مصداقية لحقيقة عدم معاناة الولايات المتحدة مـن هـجوم ارهابي منذ ١١ سبتمبر هو ان تهديد هؤلاء الإرهابيين ـ ان كانوا قد نشأوا داخل البلاد او وفدوا اليها ـ **«مماثل لذلك الذي صرح به الأمريكان اليابانيون خلال الحرب العالمية الثانية او من الشيوعيين الأمريكان بعدها»** قد بولغ فيه وضـخم. هـل مـن المحتمل ان تكون كومة القش جوهريا خالية من الابر؟

يعتنق الـ FBI شبكة تعليل **«انا ـ اعتقد ـ كذلك ـ وهم ـ يوجدون عـندما يـحدد فحوى وعيد الإرهابين في ٢٠٠٣، ادعى روبرت ميلر مدير FBI التهديد الاعظم ياتي من خلايا القاعدة في الولايات المتحدة، تلك التي لم نشخصها بعد»**، بل وبشكل غامض يعتبر ان تهديد هذه الكيانات غير المشخصة **«قد اصبح يتزايد، جزئيا ويعود ذلك الى الشعبية المتصاعدة»** التي احاطت بمشاهد قناص واشنطن ٢٠٠٢، وهجمات غاز الانثركس **«التي ليس لها أدنى علاقة بـالقاعدة»** لكن في ٢٠٠١، لم يتلقى خاطفوا طائرات ١١ سبتمبر اي مساعدة من رجال القاعدة في الولايات المتحدة لسبب بسيط هو عدم وجود مثل هؤلاء الرجال ولم يتضح بعد ان كانت الشـروط قـد تغيرت.

وكذلك ادعى ميلر انه يعرف **«بأنّ القاعدة قد ادامت قدراتها وعزمها على ايقاع خسائر مؤثرة بالولايات المتحدة ومع تحذير قليل»** ـ ان كان ذلك صحيح ـ اي ان كان الإرهابيون يملكون كل من القدرة والقابلية والعزم في ٢٠٠٣، وان التهديد الذي يدعونه في تزايد الى مدى ما، فهم قد مكثوا هادئين وبشكل ملحوظ جدا عندما كان ميلر الرزين يكرر صلواته التحذيرية في عام ٢٠٠٥ **«لازالت قلقاً جداً بشان ما لم نشاهده بعد»**.

في عام ٢٠٠٢، قدَّرت الاستخبارات وجود ٥٠٠٠ مـن ارهـابي القـاعدة ومسانديهم في الولايات المتحدة رغم ذلك فانّ تقرير سري للـ FBI في ٢٠٠٥ قد اشار انه على الرغم من نجاح المكتب باحتجاز القليل من الشباب السيئين هنا وهناك الا انه بعد مضي ثلاث اعوام على البحث المكثف والممول جدا، فقد اتضح انه غير قادر على تشخيص خلية حقيقية واحدة نائمة في اي مكان من البلاد. الالوف من المواطنين الأمريكان قد وضعت اتصالاتهم تحت البرنامج الجدالي غير المرخص للمراقبة والتنصت.

وكل عام، اقل من عشر المواطنين يثرثرون يثيرون الشكـوك والمـتاعب للوكلاء المتجسسين متسائلين عن اجازة تخولهم بـالتنصت عـلى اتـصالاتهم العائلية. وقد اتضح ان ما من نشاط قد قاد الى اي اتهام من اي هجوم. وبالرغم من البرامج الواسعة للتنصت والاحتجاز كل عام اكثر من ٣٠٠٠٠ **«رسائل الامن الوطني»** تصدر دون مراجعة قـانونية دافـعة المـؤسسات المـالية وغـيرها الى الافصاح عن معلومات سرية عن زبائنهم بـدون اخـبار اي امـرىء عـما قـد جرى.انتجت هذه العملية آلاف العناوين، التي عند المتابعة لم تفض الى اي شيء اكثر من ٨٠٠٠٠ عربي ومسلم قد خضعوا الى عملية طبع الاصابع والتسـجيل، و٨٠٠٠ اخرين قد استدعوا الى مقابلات مع FBIواكثر من ٥٠٠٠ من جنسيات مختلفة قد سجنوا وفقا لمبادرات منع الإرهاب، كما لاحظ استاذ القانون ديفيد كول لم تثمر عن اي تجريم في جرائم الإرهاب. في الحقيقة، عـدد قـليل مـن المواطنين قد ادينوا في جرائم ارهاب ودائما مع جعجعة رسمية عالية ـ واغلب هذه القضايا قد جرمت بسبب خروقات اخرى، وبالتحديد مـخالفات الهـجرة. البعض من هؤلاء المتهمين قد كانوا ذوي حالات عقلية او بـبساطة جـهاديين متبجحين ـ يثرثرون عن هدم جسر بروكلين بموقد نار وتفجير سـوق التـبضع

الكبير ان استطاعوا الوصول الى شيكاغو واغتيال رئيس وزراء كندا واغراق المنطقة الجنوبية من مانهانتن باعطاب أحد الانفاق.

■ ■ ■

شهوة التدمير ...

يبدو ان واحداً من الاسباب التي لا تدفع القاعدة ومثيلاتها الى عدم المحاولة البديلة الجدية لتكرار ١١ سبتمبر هو ان الحدث الدراماتيكي للتدمير نفسه قد انتج ردة فعل عبر توليد قلق عظيم حول الإرهاب في عموم العالم، وبغض النظر عن مدى عدم الاتفاق على قضايا اخرى **«الابرز هنا حرب العراق»** الا ان هناك باعث بكره الدول ـ حتى دول مثل ايران، ليبا، السودان وسوريا ـ للتعاون في اتخاذ تدابير اجراءات صارمة ضد القاعدة. اذا تعلم هذه الدول بانها ستكون بسهولة من بين الضحايا، من المحتمل انّ FBI لم يكشف بعد الكثير عما حصل داخل الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١١ سبتمبر، لكن الالوف من الإرهابيين الظاهرين قد تم حصرهم وتجميعهم عبر البحار بمساعدة وتشجيع الولايات المتحدة.

رغم ان بعض العرب والمسلمين قد ابتهجوا بالمعاناة التي اوقعتها اعتداءات ١١ سبتمبر **«الشماتة في اللغة العربية»** الا ان رد الفعل العام بين الجهاديين والقوميين الإسلاميين قد كان الرفض الشديد لستراتيجية وطرق القاعدة. عندما غزت القوات السوفيتية افغانستان في ١٩٧٨، كانت هناك دعوات للجهاد في كل زمان ومكان من العالم العربي الإسلامي واندفعت افواج من عشرات الالوف الى البلاد لمقاتلة الغزاة.

وفي تناقض تام، عندما غزا الجيش الأمريكي في ٢٠٠٣ العراق لاسقاط

نظام دولة اسلامية، كان هناك، كما اشاد العالم السياسي فواز جرجيس **«صمت أصم»** في العالم الإسلامي، وفقط مجاميع قليلة من الجهاديين قد ذهبت لمقاتلة الأمريكان.

جهاديون آخرون انحو باللائمة على القاعدة عمّا اصابهم من مشاكل بعد ١١ سبتمبر واعتبروا الهجمات قصيرة النظر وغير محسوبة.

تطوع الحكومات بعد ١١ سبتمبر للاطلاع بدور في الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب تعزّز وتوسع بالنشاطات الإرهابية، حتى وان كانت متناثرة، خارج الولايات المتحدة.

وهكذا، فإنّ تفجيرات بالي في ٢٠٠٢ قد صدمت الحكومة الاندونيسية لتدفعها في هذا الاتجاه عبر الاعتقالات الواسعة والتجريم الذي شمل قادة قد تمتعوا سابقاً بدرجة من الشهرة المحلية والشعبية الواسعة - بدا انّها قد خفضت وبحدّة من قابلية الجماعة الجهادية الرئيسية في اندونيسيا، الجماعة الإسلامية بعد الهجمات الإرهابية على السعوديين في السعودية في نيسان ٢٠٠٣، فإنّ هذه البلاد، ولاسباب ذات مصلحة ذاتية جدا، قد اصبحت وبشكل ملحوظ اكثر جدية في تعاملها مع الإرهاب المحلي، حالا فرضت قيود على الخطباء ورجال الدين الراديكاليين، وبشكل مماثل هجوم ارهابي احمق الى حد بعيد، في الدار البيضاء، قد دفع الحكومة المغربية الى فرض اجراءات صارمة وفي عام ٢٠٠٥ فجر حفل زفاف في فندق اردني **«بشكل لايصدق، اصبح هدفاً ارهابياً احمقاً»** افلح في تأجيج غضب الاردنيين، وفقاً لاستطلاعات الرأي فانّ نسبة الذين يعبّرون عن ثقتهم بابن لادن، قد تناقصت من ٢٥٪ قبل هذا الهجوم الى دون ١٪.

■ ■ ■

إدراك التهديد ..

نتائج النشاط البوليسي في ما وراء البحار يؤكد بأنّ عدم حصول هجمات جديدة على الولايات المتحدة له علاقة واهية بحصانة الإرهابيين او عدم كفائتهم الاستقصائية، ويتعلق اكثر بامكانية وجود قلة، او عدمها، من الإرهابيين على الارض الأمريكية وتؤكّد بأنّ وجود القاعدة وقدرتها لايقاع تدمير قد تم المبالغة فيها. وفقط رغبة الإرهابيين لايقاع اذى كبير لاتعني بانهم قادرون على ذلك.

يذهب فواز جيرجس الى ان التيار الرئيسي للاسلاميين ـ الذين يشكلون الغالبية العظمى من حركة الإسلام السياسي ـ قد تخلّت عن استخدام العنف قبل ١١ سبتمبر، ربما ما عدا عملها ضد اسرائيل. والجهاديون الذين لايزالون متمسكين بالعنف يشكلون اقلية ضئيلة.

وحتى هذه المجموعة الصغيرة تركز بشكل رئيسي على الانظمة الإسلامية **«الكافرة»** وتعتبر الجهاديين الذين ينفذون العنف ضد **«العدو البعيد»** ـ بشكل رئيسي اوربا والولايات المتحدة ـ غير مسؤولين ومغامرين طائشين يعرضون وجود الحركة للخطر، وبهذا المنظار، فإنّ ١١ سبتمبر قد كانت دلالة على يأس القاعدة المفضي الى تهور، وعزلتها، وتفككها وانهيارها، وليس دلالة على قوتها.

بلا ريب فإنّ هذه الهجمات قد اظهرت بأنّ القاعدة، او على الاقل تسعة عشر من مقاتليها لايزالون يمتلكون بعض القدرة على القتال.

وهذا لايدفعنا الى انكار ان بعض الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة لاتزال ممكنة، ولا الى عدم التاكيد بأنّ القاعدة ليست الا منظمة اجرامية. واكثر من ذلك، بعد انتهاء المغامرة الأمريكية غير المدروسة في العراق، فإنّ الجهاديين المتدربين هناك قد يسعون لاستمرار عملياتهم في اماكن اخرى رغم

ان من المحتمل جدا انهم سيركزون على اماكن مثل الشيشان اكثر من الولايات المتحدة. الهجوم العسكري الأمريكي احادي الجانب على ايران قد يـدفع ذلك البلد للرد ومن المحتمل مع دعم واسع جد مـن العـالم الإسـلامي وبـمساعدة المتمردين المناهضين لأمريكا من افغانستان والعراق وايقاع اضرار في اسرائيل وفي المصالح الأمريكية في عموم العالم.

رغم انه من الهرطقة القول، بأنّ الادلة قد اثبتت بأنّ المخاوف من الإرهاب الكلي الوجود ـ مستعيدين ذكريات صور اليابانيين، ذوي العشرين قدم طول بعد بيرل هاربر، او صور الشيوعيين ذوي العشرين قدم طول في مراحل مختلفة من الحرب الباردة «**خصوصا بعد اطلاق المركبة سبوتنك**»، كل هذه الصور قد كـانت منتفخة وهكذا فإنّ التهديد الذي تمثلة القاعدة للولايات المتحدة قد بـولغ فـيه كثيراً. اجهزة الامن الوطني الهائلة والمكلفة التي انشـئت بـعد ١١ سـبتمبر قـد تضايق البعض، وتتجسس على كثر، وغير ملائمة لأكثرية، وتفرض ضرائب على الجميع لتدافع عن الولايات المتحدة ضد عدو بالكاد موجود.

بلاط الحلم بالامبراطورية
هل العراق «فشل نبيل»؟

كارل براون «جامعة برستون»

مجلة فورن افيز /سبتمبر - اكتوبر / ٢٠٠٦

قراءة في كتاب «هدية الغريب»: الأمريكان والعرب والعراقيون في العراق، فؤاد عجمي ٣٧٨ صفحة / ٢٠٠٦

فؤاد عجمي فصل لايمكن تركه في قصة المغامرة الأمريكية في العراق. في فترة تسارع الأحداث التي سبقت الغزو، آذار ٢٠٠٣ كان واحداً من المفكرين المناصرين للحرب والأشد تأثيرا، فلطالما ظهر في اللقاءات التلفزيونية والمطبوعات **«وول ستريت جورنال، يو اس نيوز، ولرد ربيوت، وفرون افيرز»**، بل ان نائب الرئيس تشيني قد استشهد بعجمي في خطابه في الاجتماع السنوي للمحاربين القدامى، وبعد اسطر قليلة من الادعاء **«يمكن القول ببساطة، ليس هناك من شك بأن صدام حسين يملك الان اسلحة الدمار الشامل»**.

أعلن أحد النواب: **«بما يتعلق برد فعل - الشارع العربي - فإن الأستاذ فؤاد عجمي الخبير بشؤون الشرق الاوسط يتنبأ انّ شوارع البصرة وبغداد بعد التحرير، بالتأكيد ستنفجر في فرح غامر في نفس طريقة الحشود التي رحّبت بالأمريكان في كابل وعلى المتشدّدين في المنطقة إعادة النظر في استراتجياتهم للجهاد. وسيحتلّ المعتدلون في المنطقة موقع الصدارة. وسيزيد ذلك من قدرتنا للتقدم في عملية السلام**

العربية الإسرائيلية، بالضبط كما حصل ذلك بعد حرب تحرير الكويت في عام ١٩٩١».

الان وقد مضى على وجود الأمريكان ما يزيد على ثلاثة أعوام، ليقترب ذلك من الزمن الكلي لمشاركة أمريكا القتالية من الحرب العالمية الثانية، ما الذي عند عجمي ليقوله عن كل هذا الذي يحصل؟

كتابه ـ هدية الغريب ـ ليس جردة ـ بالذي جرى خطأ ـ رغم ان عجمي لايقفز فوق أي من الحوادث المؤسفة الرئيسية والكتاب كذلك، ليس عزوفاً **«لو كنا قد عرفنا حينها الذي نعرفه الان»** الكتاب، في مقدمته القصيرة والخاتمة، يدعى بأن التدخل الأمريكي في العراق قد كان الأمر الصواب الواجب عمله لتقديم **«هدية الغريب»** للعراقيين والعرب. ويكتب عجمي **«نظام صدام كان سيستمر لآلاف السنين لو لم تأت الولايات المتحدة وتطيح به»** الأنظمة العربية المتصلبة والمستبدة بحاجة الى مثل هذه الرجة لتعبيد الطريق نحو الاصلاح او لتغيرها ولا يجادل العجمي بأن التطورات في العراق والمنطقة منذ سقوط تمثال صدام ـ بمساعدة الأمريكان ـ قد بدت كئيبة او ان الغزو في النهاية لم يثبت نجاحه، وفي الصفحات الاخيرة من الكتاب يعرض احكاما استثنائية. فعلى الغِد من التاكيد برنارد هنري ليفي القائل: بأن كل الجهد قد كان **«اخلاقياً صائباً لكن سياسياً خطأ»** يؤكد عجمي: **«انها حرب نبيلة... و نتائجها ستحدد عما سيؤول اليه بنجاح نبيل او فشل نبيل»** سيقول الواقعيون العنيديون: **«لايمكن ابداً للفشل ان يكون نبيلاً.... لكن بالتاكيد التاريخ اكثر غموضا من اللاعاطفية المتخشبة».**

هدية الغريب عمل باحث متورط في المغامرة الأمريكية والى حد ما مشترك فيها. هذا الدور المتميز بالإضافة الى مكانة عجمي كواحد من القلة المؤثرة في إعادة صياغة التوجهات العامة حول قضايا الشرق الاوسط، يضمن بأن الكتاب سيخبر وسيستفز.

■ ■ ■

خمرة عجمي المعتّقة ..

في الأسلوب والمادة، هذا الكتاب هو خمرة عجمي المعتقة. باقتضاب ودقة، يعرض الشخصيات والحكايات، مستثمراً اياها كنقطة انطلاق للتأمل في المواضيع الكبيرة قبل التوجه نحو التفاصيل المختلفة والتي بدورها تقوده الى معالجة قضايا كبيرة أخرى.

المقارنات العبر ـ الثقافية والتاريخية الجادة ـ وكذلك عدد من الحكايات الجانبية اللاذعة ـ تنسج داخل النص، مثالان سيكونان كافيين. يكتب عجمي **«بدت حرب العراق وكأنَّها تمثل مشهداً غريباً ـ حشود من المثقفين المتحوّلين بشكل حقيقي ـ رئيس امريكي محافظ مدعي بانجيل الحرية مع لبراليين متراجعين عن اعتقاد اكيد بأنَّ الحرية لايمكن نشرها في العالم العربي»** كانت اكثر تبصراً في عواقب الامور كان عليه ان يحذف كلمة اكيداً مقارناً الكويت التي حررتها قوات اجنبية بعد غزو العراق ١٩٩٠، مع لبنان المحتل من سوريا منذ أمد بعيد يلاحظ عجمي وبسخرية مُرّة **«ارثي اللبنانين، فهم يملكون شجرة الارز والكويت تملك النفط»**.

«هدية الغريب» هو ثمرة ست رحلات إلى العراق منذ ٢٠٠٣ ومقابلات مع كبار وغير كبار لكنهم يمثلون **«كل من الأمريكان والعراقيين»** وتطواف في المصادر المتوفرة ومن ضمنها الإعلام العربي، امر ضروري للامساك بالتاريخ المعاصر. لكن ما يقدمه عجمي ليس تاريخا وفيرا لهذه الاعوام وانما نص اسطراري متشكل باطروحة: الفوز او الفشل، غزو الولايات المتحدة للعراق قد كان قضية نبيلة.

يمكن تلخيص الخط الأساس لحكاية عجمي بالآتي: بعد رعب ١١ سبتمبر والانهيار السريع لطالبان والقاعدة في افغانستان، ادركت ادارة بوش ان على صدام الرحيل. فهو بشكل عام ومن دون ريب قد كان في طريقه لانتاج اسلحة

الدمار الشامل، ونظامه لم يكن ليطاح به من الداخل مطلقا، وقد كانت الولايات المتحدة القوة الوحيدة القادرة والميالة لانجاز هذه المهمة وازالة صدام يمكن وضعها كذلك في اطار حركة الاصلاحات ـ او تغير بقية الانظمة ـ في عموم المنطقة، في جدال مبكر طرحه تشيني في خطاب آب ٢٠٠٢.

رغم ان ادارة بوش قد استطاعت الحصول على موافقة الكونغرس على الحرب، الا ان الأمم المتحدة قد اعاقت ذلك. وهكذا فقط وبدعم محدود من حلفائها «**جوهرياً فقط من المملكة المتحدة**» هاجمت الولايات المتحدة العراق في آذار ٢٠٠٣ محطمة ومبعثرة نظام البعث في غضون شهر واحد.

وبدأ الإحتلال، وقد اثبت الجيش الأمريكي تفانيا ومقدرة «**انتهاكات سجن ابو غريب قد كانت حدثاً مأساوياً ومحطماً لكنّه لم يكن من خصال الجيش**»، ولم تكن الإدارة المدنية الأمريكية برئاسة بريمر كذلك. وعلى كل حال، من المحتمل، وفي كلمات عجمي: «**لقد سبق السيف العدل في سجلات تاريخ الأمم نجاح حاكم السلطة الاجنبية وقبولها من قبل شعب ذي تاريخ عصي. بالطبع ان العالم الإسلامي هو المكان الخطأ لتجربة حاكم غريب محسن**».

الاقلية السنية العراقية وعرب الخارج المرتبطين بالقاعدة ولفوا مزيجا مركبا من التمرد والتفجيرات الانتحارية حتى من داخل الاغلبية الشيعية، المستفيد الأعظم من سقوط صدام ـ قدمت متاعب ايه الله العظمى السيستاني ـ رغم فورات غضبه على بريمر عن بعد ـ قد كان بشكل أساسي قوة ايجابية. لكن الزعيم المتمرد مقتدى الصدر، المنحدر من عائلة دينية معروفة، قد نظم مقاومة للاحتلال وتحدى القيادة الدينية الشيعية. وفي نفس الوقت، فإنّ السنة في عموم العالم العربي المشدودين الى أسطورة القومية العربية التي تثبت الهيمنة السنية، قد شرعوا علانية بإظهار ما كان يقلقهم من الولايات المتحدة. وما يحدثه ذلك من

زيادة **«غير طبيعية»** لقوة الشيعة والأكراد في المنطقة والعنف الحاصل وفشل الإحتلال في توفير الامن الاساسي والتطور قد قلل من التأثير الكافي الذي كان يمكن لسقوط صدام أحداثه في المحيط العربي خارج العراق. ذلك، كما يقول عجمي، ما لاتظهر عليه الامور في عام ٢٠٠٦. ان كانت هذه **«الحرب النبيلة»** ستنتهي الى **«نجاح نبيل»** او **«فشل نبيل»** يبقى ذلك في رحم المستقبل.

نحن الان نعرف هذا الملخص التجريدي لايفي بعرض الكثير من الاستبصارات والحكايات الجانبية في سرد عجمي تعداد القليل منها يعطي صورة لمداها المحتمل: الموقف الايجابي من دور القائد المنفي احمد الجلبي، مع الملاحظة الماكرة الى انه الشيعي احمد الجلبي وقد سم كشخص غريب يتدخل في السياسة، بينما القائد السني عدنان الباججي، المساوي في فترة النفي الطويل، لم يكن بذلك، تقيمه القاسي لممثل الأمم المتحدة السيد الاخضر الابراهيمي، تعليقه عن انّ: **الملكيات العربية قد اثبتت بانها اكثر رحمة من الانظمة المستبدة ودول الأنظمة القومية التي فكّكت النظام السياسي العربي، القصة المؤثرة عن الباحث اليهودي العراقي الذي تحول لاحقاً الى مواطن اسرائيلي واتصاله بصديق كردي قديم كان معه في احدى المنظمات اليسارية والحلقات الفكرية في بغداد.** ويقارن عجمي المناخ الفكري والاجتماعي العربي الراهن باوربا ١٨٤٨ ـ مقارنة، رغم انّها واسعة المدى، الا انّها تنفع في تفكيك **«الاخرية»** العربية التي غالباً ما تكون ضمنية، ان لم تكن علنية في الخطاب الغربي.

رغم ذلك، عودة إلى مسار حكاية عجمي، هناك قضية ذات دلالة أُسيء تقديمها او همشت في سرد عجمي: لماذا في المقام الاول، غزت الولايات المتحدة العراق؟ فعلى النقيض من افغانستان، لم يكن العراق هدفاً واضحاً بعد رعب ١١ سبتمبر. فنحن نعرف الان بأنّ مجموعة قليلة من الإفراد داخل وخارج

الحكومة الأمريكية قد كانوا ولفترة طويلة يدفعون باتجاه تغير النظام في العراق وقد انتصروا على ادارة، كانت من المحتمل في ذلك الحين، انها قلقة مباشرة على خلفية أحداث الهجمات. وكذلك نعرف الان ان ادارة بوش قد اساءت قراءة واستخدام المعلومات الاستخبارية في صياغة قضية ضد صدام. عجمي لاينكر هذه المواضيع، لكنه يقدمها على انها ثانوية. فيكتب قائلاُ **«قد لا يكون هناك ربط عملياتي بين العراق والقاعدة: محمّد عطا قائد عملية الطائرات في ١١ سبتمبر قد يكون او لايكون التقى ضابط مخابرات عراقي في براغ، وقد تكون القاعدة حركة** «دينية» **بينما نظام بغداد ـ علماني ـ كل هذه الفروقات لاتهم. فالربط قد تم داخل الاعتقاد الأمريكي»**. ويسقط العجمي من الحساب تاثير **«المحافظين الجدد»** وبازدراء يذهب الى ان ذلك ليس بول ولفوويتز، نائب وزير الدفاع، **«بالتأكيد ليس ذلك، لكن من المؤكد ان قلة من الابطال، ومن ضمنهم عجمي، قد لعبوا دورا في التسبب في هذه الحرب»**، وبازدراء مماثل، يضيف: بالتأكيد ان الولايات المتحدة لم تحصل على تخويل سكرتير عام الأمم المتحدة السيد عنان او الرئيس الفرنسي السيد شيراك. عرض القصة بهذه الطريقة سيوضح القضية الكبيرة لتكون كالآتي: الكونغرس قد ظلل في تخويله للحرب، بل حتى القضية الكبرى القائلة بأنّ احتلال العراق كان خيارا ولم يكن استجابة لخطر جلي وحاضر، بل سيسخر بالاعتبار الأوسع لمنزلة الولايات المتحدة وحرفية ادارتها ليظهرها تنصح بالفعل من قبل آخرين أكثر من كونها تختار بذاتها، لتمضي بانجاز دورها لوحدها كمهيمن كوني. هذا الخيار السياسي **«الهيمنة الكونية»** قد تم الشروع به بصرامة في إستراتيجية الأمن القومي عام ٢٠٠٢ لإدارة بوش، ومثل هذا التفكير قد كان جزءاً من السياق الذي أطلق فيه مشروع غزو العراق. رغم ذلك، في تاريخ حروب العالم، الكثير من القضايا الخيرة قد بضعت بشكل فقير **«وكذلك الكثير من القضايا السيئة قد بضعت بامتياز»**

قضية عجمي الخيرة قد كانت تخليص العراقيين والعالم من نظام مرعب، والشروع بخطى طموحة لجلب سبل الديمقراطية والسلام الى الشرق الاوسط: الهدف الأول يمكن للجميع ان يوافقوا عليه، الثاني يقدم منظورا لتدخل كثيف ومستمر ومن المحتمل مع تغير الكثير من الانظمة.

■ ■ ■

العبء الأمريكي ..

أنّه لأمر جلي، بأنّ كلا البندين الرئيسيين في قضية عجمي الخيّرة هما جوهرياً عربيان وشرق اوسطيان اكثر من كونهما امريكان في مركز نشاطهما فهو يتحدث عن **«الغضب»** العربي ضد الولايات المتحدة والحاجة **«لأن يأخذ العرب زمام الحرب بأنفسهم»** لكن كما قد يسال سياسي واقعي، أين مصلحة واشنطن في اتباع هذه السياسة الحازمة؟

يمكن للولايات المتحدة الالتصاق بالعمل غير المنتهي في ملاحقة القاعدة والضغط على كل الدول لتضيق على الإرهاب وتستمر في لعب دور فعال في سياسات الشرق الأوسط، بينما تتوقف لبرهة عن حروب الاختيار والجهد الطموح لاعادة ترتيب المنطقة.

اطروحة عجمي هي ان هناك الكثير ممّا هو مطلوب **«هدية الأجنبي»** يساوي المهمة الامبريالية **«وهو لايخجل من كلمة ـ امبريالية ـ»**. فقط داخل اطار دعوات الناشط والمتدخل الأمريكي يمكن فهم حرب عجمي **«النبيلة»**. انها **«مهمة الرجل الغربي»** القديمة مع بعض التحديث التصويبي. ومن المحتمل ان علينا ان نجني **«المكافئة القديمة»** لوم اولئك الذين نرقيهم، وكره أولئك الذين نحميهم.

اولئك الذين يرغبون بهذه المهمة الامبريالية سيثلج قلوبهم جردة السيد

عجمي لسياسات الولايات المتحدة في السنوات القليلة الماضية، حتى وان تعكروا من تثمينه الرزين القائل: بأنّ تلك السياسات قد أثبتت انها فقط **«فشل نبيل»** اما أولئك الذين يشكّون في أخلاقية او عملية مثل هذه المشروع قد يجدون من النافع النظر الى هذه القضية بلغة عودة الامبريالية.

في غضون ذلك يموت جنود الولايات المتحدة. يستنتج عجمي **«على امريكا ان لا تبتعد عن اراضي الشرق. من المحتمل أنّها لم تنشد صرحاً إمبريالياً في العالم العربي، لكن واحداً قد بزغ او تمّ الحصول عليه، ونحن الان نراقب، حيث تنفتح امام عيوننا قواعد الإشتباك»**. هذه الكلمات صدى محزن لخطبة بيركلس في رثاء الاثنين الحزانى خلال حرب البيلوبونيز...

■ ■ ■

الرمال المتحركة ..
مستقبل العلاقات الأمريكية السعودية

توني جونز، مجلة فورن افيزنيسان ٢٠٠٦

قراءة في كتابين..

أثخن من النفط: الشراكة الأمريكية العسيرة مع العربية السعودية، «راشيل برونسن، ٣٩٨ صفحة ٢٠٠٦».

العربية السعودية المهدّدة: داخل مملكة في أزمة، «جون برادلي ٢٢٤ صفحة ٢٠٠٥».

بعد اربعة أعوام ونصف على هجومات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، لاتزال العربية السعودية تحت مساءلة شديدة في الولايات المتحدة، وذلك لأسباب وجيهة. حتى بعد ما أبداه القادة السعوديون من جهد لايقاف الدعم المحلي للجهاد، لايزال المئات، بل الالوف من المواطنين السعوديين يجدون طريقهم الى ساحة المتمردين لمقاتلة القوات الأمريكية في العراق. كانت الردود الحكومية – بث مسلسل تلفزيوني هو **«الخداع بأسم الجهاد»** قد امتصت بعض اليأس المفضي الى غضب، وقد ظهر انّ القادة السعوديين محبطون أكثر ممّا هم واثقين واقل سيطرة ممّا هم راغبين ان يكونوا. تساءل بعض المراقبين عن جدية مثل هذه الجهود.

في تموز الماضي تقدم السناتور اركن سيكر واخرون بقانون محاسبة

السعودية ٢٠٠٥، الذي يدّعي بأنّ العربية السعودية مستمرة في التحريض على الإرهاب. مثل هذا الشك ينغرس عميقاً في الولايات المتحدة، ليس بسبب مشكلة المجاهدين الحالية في العراق، التي تعود جزئياً كنتيجة لدعم النظام السعودي للجهاد في افغانستان في الثمانينيات.

العربية السعودية، اكبر منتج للنفط في العالم وموطن ربع احتياطي العالم منه، قد فشلت في إقناع الآخرين بأنّها تفعل ما في وسعها للجم الارتفاع القياسي في أسعار البترول. اسعار الغاز العالية والصعود السريع لقوائم تكلفة التدفئة الشتائية قد زاد من إحباط الشارع الأمريكي من اعتماد الولايات المتحدة على مصادر الطاقة الأجنبية.

المشاعر المناهضة والمزدرية للعربية السعودية متفشية بدرجة كبيرة الآن بين الأمريكان لتدعم صناعة البرامج التلفزيونية التجارية والأفلام السينمائية المثيرة والكتب الأكثر مبيعاً تلك التي تشوّه سمعة المملكة.

رغم ذلك فمن غير الوارد ان تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لشيء الا لتهدئة العلاقات مع الرياض، فستبقى العربية السعودية أهم مصدر للنفط في العالم على الاقل للنصف القادم من هذا القرن. بعد قمّة الرئيس بوش والأمير عبد الله في نيسان ٢٠٠٥، أشار المسؤولون الأمريكان الى أن الولايات المتحدة ستستمر بالتسامح مع الوضع السياسي الراهن في العربية السعودية على الاقل ظاهريا، بالرغم من أن خطوات الاصلاح البطيئة بشكل مؤلم قد احبطت أمال ادارة بوش للدمقرطة في الشرق الاوسط. **«لاتزال العربية السعودية متمسكة بأساليبها الفاشية، على الرغم من ان الامير عبد الله، ظاهريا إصلاحي، قد خلف الملك فهد على العرش في آب الماضي»** ستكون المشكلة بالنسبة للولايات المتحدة هي الموازنة بين هموم الامن وحاجات الطاقة والمطامح للاصلاح في الخارج.

الكتابان **«اثخن من النفط، والعربية السعودية المهددة»** يعالجان مدى التحدي بفحص ما كانت عليه العلاقات الأمريكية السعودية وأين هي الان، وكيف يمكن للتغير في النظام السعودي ان يشكلها في المستقبل.

■ ■ ■

ما وراء النفط...

كتاب راشيل برونسن، **«أثخن من النفط»**، هو تاريخ عميق التبصر في العلاقات السعودية الأمريكية يتحدى التشخيص الشائع للعلاقة على أنها مقايضة توفر فيها السعودية حرية الوصول السهل للنفط مقابل تعهد بالأمن من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. برونسن، عضو مجلس العلاقات الخارجية، تذهب الى ان هذا تعميم تبسيطي **«ينكر المصالح الاستراتيجية المتشابكة التي تسيّر الملوك السعوديين المتعاقبين والإدارة الأمريكية معاً. لقد كان النفط السبب الرئيسي لاهتمام الولايات المتحدة بالسعودية منذ الحرب العالمية الثانية لكنّه لم يكن السبب الوحيد فقط»**.

محاربة الشيوعية قد كانت من بين المصالح التي تشاركت بها الولايات المتحدة والسعودية وتظهر بثبات في كتاب برونسن. أصبحت السعودية شريكا استراتيجيا مهما للولايات المتحدة خلال فترة الحرب الباردة، ليس فقط في الشرق الاوسط بل عموم العالم، جزئيا، وفقا لبرونسن لأن محاربة الشيوعية غالبا ما كانت وراء دفع الأهداف السعودية الأمنية الى الإمام. في الخمسينيات وبواكير الستينيات مثلا تحدى القادة السعوديون القائد المصري جمال عبد الناصر، الذي سعى وبشكل واضح للحصول على أسلحة ومساعدات من الاتحاد السوفيتي في مسعى للهيمنة الإقليمية. وتشير برونسن الى أن **«النشاط السعودي**

المضاد للشيوعية قد كان عونا كبيرا للولايات المتحدة في فترة السبعينيات، عندما كانت الولايات المتحدة تلعق جراح حربها في فيتنام» و «لمواجهة التركيز الأمريكي على الشأن الداخلي المحلي، شكلت السعودية وفرنسا مع آخرين تحالفا مستقلا عن الجهود الأمريكية، لوقف المغامرات السوفيتية»، وغالبا ما عمل السعوديون اعتمادا على مبادراتهم الذاتية، فمولوا الكثير من الجهود المضادة للشيوعية في مناطق بعيدة، من ضمنها، أفغانستان وانغولا ونيكاراغوا.

وتذهب برونسن الى إن الجغرافية قد كانت عاملاً مهما في العلاقة. فقد كانت السعودية مسرحا رئيسيا لعمليات القوات الأمريكية في القرن العشرين. وأدامت الولايات المتحدة قاعدتها في المنطقة الشرقية في مدينة الظهران للفترة ١٩٥٢ ـ ١٩٩٦. ولعبت هذه القاعدة دورا ستراتيجيا خلال الحرب الباردة، تقول برونسن **«خدمت كمحور ترانسيت لنقل الاسلحة الممولة اميركيا المتوجهة الى افغانستان»** وخلال حرب الخليج، عسكرت القوات الأمريكية ٥٠٠.٠٠٠ جندي في السعودية. وشكلت حضورا مؤثر في حرب ٢٠٠٣ واستخدمت كممول لقواعد السعودية الشمالية للدعم الجوي في حرب العراق الراهنة. الأمر الجديد والمهم في جدال برونسن هو دور الدين الرئيسي في العلاقة بين البلدين.

فتذهب السيدة روبنسن بالقول: **«بالاضافة الى النفط والجغرافية، نمت الولايات المتحدة، منذ الحرب الباردة، دينية العربية السعودية، فالنفط لوحده لا يوضح لماذا عملت الولايات المتحدة في أواخر الخمسينيات على تحويل الملك السعودي الى قائد إسلامي معترف به تماماً، ثم التوجه السعودي للادعاء بمكة والمدينة واهمية ذلك في الاجندة الأمريكية لمحاربة الشيوعية»**.

يقدّم كتاب **«أثخن من النفط»** ادلة تثير الانتباه على ان صناع السياسة الأمريكية سعوا للاستفادة من المحافظة الدقيقة للنظام السعودي، ونصب أعضاء

من إدارة ايزنهاور الملك السعودي الثاني، سعود بن عبد العزيز بابا إسلامي، كند ممكن للقائد القومي جمال عبد الناصر وتدعى روبنسن بصواب ان الإدارة الأمريكية قد اعتبرت المملكة السعودية «**دولة دينية بعمق**» لتكون «**الوقاء التام ضد انتشار الشيوعية والشريك الطبيعي لأمريكا**» وتكثف هذا الاعتقاد في الثمانينيات.

اهمية تدين النظام السعودي في الصراع الذي تقوده الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي قد أُستنزفت بوضوح في افغانستان، حيث دعمت الحكومتان جهود مئات المجاهدين. حثت العربية السعودية على الجهاد المناهض للسوفيت بتعبئة جوامعها للقتال وتشجيع الألوف من مواطنيها للمشاركة. على الرغم من ان جهد برونسن لتضمين الدين في العلاقة الأمريكية السعودية قد كان أمرا ذا مصلحة بالغة، الا انها قد ذهبت بالموضوعة الى اقصاها، فهي لم تدعم بشكل حقيقي دعواها «**في التقسيم الدقيق للعمل، تهاجم السعودية الإلحاد، بينما تحارب امريكا الشيوعية**» وكذلك، فانها تغالي عندما تذهب الى ان «**الشيوعية التي ينشرها السوفيت متأسسة على معاداة الاعتقاد الديني، لذا فإنّ هناك احتمالية كبيرة ان تعمل الدولة الدينية ضد الشيوعية وتلجأ الى الولايات المتحدة**» ذلك لأن الدوافع الداخلية التي تسير عجلة السياسة داخل المملكة السعودية معقدة جداً. لتبرر هذا التبسيط الذي تدعيه الكاتبة.

من المعقول القول ان الدين يساعد في توضيح السياسة الخارجية السعودية ومحاربتها للشيوعية لكن الموضوعية ليست جلية. في الحقيقة، طوال القرن العشرين، كانت العائلة المالكة السعودية ابعد ما تكون عن الاستقامة والورع. فما بالك بالانفتاح على دينية من يحيطون بها. لم يخفى الملك سعود بن عبد العزيز عدم اهتمامه بشؤون الاعتقاد الديني خلال فترة حكمه ١٩٥٢- ١٩٦٤. خلفه

الملك فيصل كان قائدا دينيا بعمق. لكن من المحتمل أنّ معاداته للشيوعية، لم تكن الدافع الذي صاغ جهوده للحث على وحدة المسلمين ونشر التأثير الديني السعودي عبر تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي. الملك فهد الذي حكم من ١٩٨٢ حتى وفاته في الصيف الماضي قد أكد على اهمية الدين، لكنه مثل الملك سعود، قد كان معروفا بانغماسه بالحياة الدنيوية[١]. وكما تشير برونسن، مع بداية الثمانينيات وحدت الحكومة السعودية الدين مع السياسة الخارجية. وكانت الجهود مركزة على مواجهة التهديدات الداخلية أكثر من القناعات الأيدلوجية الجامدة. وكان القرار السعودي باحتضان الجهاد في أفغانستان الرد على احتلال مسجد مكة من قبل الراديكالين السنة، الذين هددوا مشروعية النظام الديني. وخشية من ان الراديكالية قد يخدمها الدعم الشعبي لمواطني المملكة المستائين، حققت الانتفاع المصاحب لرسالة الراديكاليين الجديدة. عندها فقط تشكل التكامل التام بين الدين والسياسة الخارجية[٢].

■ ■ ■

ليس خاص جداً ...

رغم ان العلاقات قد كانت قوية خلال فترة الحرب الباردة، الا انه من الخطأ الاستنتاج بأنّ مصالح البلدين المشتركة قد قادت الى علاقات مريحة باستمرار.

---

١ ـ قد يكون راي الكاتبة أن الدين وظف لإغراض السياسة فلا يلزم منه اعتقاد القادة والمتصدين للعمل السياسي بما يقولون فلعل تصريحاتهم للتسويق وهذا شبيها بالقادة الامويين والعباسيين الذين كانوا يرفعون الشعارات الإسلامية ويطبقون خلافها، ويلاحظ هذا أيضا عند الساسة الوطنيين والطغاة فشعاراتهم تخالف مواقفهم وسلوكهم.

٢ ـ يبقى التشكيك المشار اليه سياسي طارىء لايُؤمِن مصالح المملكة مستقبلاً.

وكما تشير برونسن، بالرغم من البداية المبشرة بالنجاح، فإنّ روابط الولايات المتحدة مع العربية السعودية لم تكن دائماً متناغمة. استطاع الرئيس روزفلت والملك المؤسس عبد العزيز بن سعود تأسيس روابط رسمية حميمة خلال لقائهما الوحيد في شباط ١٩٤٥ لكن هذه العلاقة الخاصة قد ماتت مع رحيل روزفلت بعد ستة اشهر وبسرعة خضعت الروابط السعودية الأمريكية الى المصالح السياسية المتنافسة. واظهر الرؤساء الأمريكان المتعاقبون وكذلك الملوك السعوديون افتتان اقل أحدهما بالاخر، خصوصاً في الفترة الممتدة من وفاة عبد العزيز بن سعود ١٩٥٣ وتسلم الملك فهد للعرش ١٩٨٢.

حتى خلال الفترات التي أعلن فيها الرئيس ريتشارد نيكسون ورولاند ريغان بوضوح ان العربية السعودية هي مصدر القوة الامنية والإستراتيجية الأهم بالنسبة للولايات المتحدة في منطقة الخليج المتفجرة، ولم تكن العلاقات تجري بسلاسة. وكانت التوترات هي ميراث حظر النفط وما تبعه من ارتفاع صاروخي في أسعار النفط في أواسط السبعينيات. ولكنها قد كانت كذلك نتيجة الرؤى الاستراتيجية المتنافسة من جانب الرسميين والأمريكان الكثر. وغالبا ما لعب الكونغرس دورا اشد خصومةً وذهب بعيدا في محاولة حضر مبيعات السلاح الى المملكة في الثمانينيات.

وكانت نهاية الحرب الباردة لحظة تحول في العلاقات السعودية الأمريكية. ورغم ان البلدين قد تعاونا باحكام في طرد القوات العراقية من الكويت، الاّ انّ المصالح الاستراتيجية المشتركة التي شكّلت العلاقات لأكثر من خمسة عقود خبت مع تفكّك الاتحاد السوفيتي. وانحرفت العلاقات الرسمية خلال التسعينيات وكذلك المصالح الأمريكية العامة في المملكة.

ثم قدّم ١١ سبتمبر. ظهور خمسة عشر من خاطفي الطائرات التسع عشرة هم

مواطنون سعوديون، من إتباع بن لادن، شكّل اسئلة عميقة مزعجة عمّا يـجري داخل المملكة وما يشكله من تهديد للولايات المتحدة. ومـن عـدة جـوانب، أسست الهجومات حقيقة انّ العربية السعودية قد أصبحت تهديداً اكثر منها مصدر قوة للأمن.

كتاب جون برادلي «**العربية السعودية المهددة**» اعتمد على سنتين ونصف من جولات الكاتب كصحفي داخل المملكة، التي تظهر كيف انّ الامن داخل العربية السعودية يتحدى العلاقات الأمريكية السعودية. التـوترات العـرقية والمـحلية الكامنة تهدد استقرار العائلة المالكة. لكن الأكثر شؤماً على المدى البعيد للأمن المشترك لكل من الولايات المتحدة والعربية السعودية هو الضغوطات التي تنتج من المعدلات العالية لنسب العاطلين داخـل المـملكة، ومـن اعـداد الشـباب الساخط والمغترب، إذ رغم إنجذاب هولاء الى التكنلوجيا وعناصر من الثقافة الأمريكية، الا انهم كذلك مفتونين بايدولوجيا القاعدة المناؤة لأمريكا.

برادلي في أفضل حالاته عندما يصور المواطن السعودي البسيط عـارضاً انسانيته الى جانب وحشيته وإسراف النظام السعودي، ويـقدم بـتهذيب العـقل الليبرالي لرجال ونساء المنطقة الغربية في الحجاز، حيث أمـضى اغـلب وقـته. **وكذلك يتفحّص مأزق العمّال المغتربين تحت ظروف العمل الصعبة، والشيعة الشجعان الذين يتصدّون للارثوذكسية الدينية وكذلك حتى بعض العناصر التقدّمية داخل العائلة الملكية.**

يقدّم كتاب العربية السعودية المهددة، صورة حيّة عن التوتر بـين الحكّـام والمحكومين، ويقدم ادلة لاذعة عن خيبة الامل المنتشرة بشكل واسع داخـل العائلة الحاكمة. والحكّام السعوديون مسؤلون وإلى حد كبير عن هذه المرارة، لقد قوّضوا طويلاً الاحساس بالإنتماء داخل مواطنيهم، وبدلاً من احتضان التنوع،

الذي تملكه المملكة.

اعتمد النظام على ايدلوجية دينية متزمّتة لفرض مدى ضيق من السلوكيات المسموح بها[1]. ورغم انّ السعوديين ورعون بدرجات متنوعة، الا انّهم يتّخذون موقف عدائي ضدّ القبضة الخانقة لفقهاء الدين، وكذلك لتلك التي تفوّض الشرطة بتنفيذ الأوامر الأخلاقية. والكثير من المواطنين يرفضون نداداتهم كسعوديين، مفضّلين تعريفهم بمجتمعاتهم، ومعبّرين عن نقد محترس ضد الحكومة في خلوتهم في بيوتهم. بدون إحساس متناسق بالوطنية، وجد البعض عزاءهم في شبكات المتطرّفين السياسية مثل القاعدة – واحياناً مع نتائج كوارثية على الولايات المتحدة الأمريكية والسعودية على السواء. وحتى أولئك السعوديون الذين لايحتضنون العنف المسلح هم متعاطفين مع رسالة القاعدة السياسية خصوصاً مع الهجوم المزدوج على الحكام السعوديين وحلفائهم الأمريكان.

رغم ذلك يبدو كتاب، العربية السعودية المهددة، مخيباً للامال في سعيه لإعطاء تبرير لنزوع بعض السعوديين نحو الجهاد ـ فهو لايفشل فقط بالسؤال لماذا يختار بعض السعوديين العنف بل كذلك يدعى ان ١١ سبتمبر وحوداث العنف الاخرى في الإرهاب المضاد للغرب قد كانت أحداثاً حتمية. ما عدى مراحل العقود الأولى من تكوين المملكة العربية السعودية في بواكير القرن العشرين، عندما اعتمدت عائلة آل سعود، المقاتلين المتدينين للمساعدة في اخضاع الجزيرة العربية، لم يكن السعوديون أصحاب عنف ولم يكونوا بعد قد

١ ـ لم يكن هذا المسار المتطرف يخاف على الإدارة الأمريكية، نعم يمكن القول بأن مهمته قد انتهت ولا توجد مصلحة لبقائه واكتشف المخططون في الإدارة الأمريكية الى ما سيؤول اليه الدين الذي صيغ ضد الدين الذي جاء به الوحي وبالتالي أنَّ المسألة لاتتعدى أكثر من تطبيقات مزيفة يرجع مردودها على العالم الإسلامي قبل الإدارة الأمريكية.

استخدموا الدين لتبرير الهجومات لا ضد الغرب ولا ضد حكوماتهم[١].

ويوحى برادلي بأنّ العائلة المالكة قد كانت على الدوام «**تثقّف بهدوء المؤسّسة الدينة الوهّابية التي تضع في مركز اهتمامها تحطيم الغرب**» مثل هذا الادعاء غير دقيق هدفه الاثارة. ويتخطى برادلي الحدود عندما يدّعى «**بأنّ قواعد الدولة السعودية قد بُنيت على أسس خاطئة**» وقريباً او بعيداً فإنّ تحول زلزالي سيوقع تلك الدولة الى الأرض دافعاً في اتجاه المطالب الوهابية الداخلية من جانب، وفي الجانب الآخر العلاقة الخاصة المتناقضة ذاتياً والعبثية الأسس بين الولايات المتحدة والعربية السعودية التي بدأت منذ ١٩٤٥ عناصر هذه العلاقة لاتبدو متناقضة ذاتياً ان لم تكن عبثية، لكن ذلك لم يكن دائماً قضية.

ويبدو مساويا لذلك في الارتباك انخراط برادلي في علم نفس شعبي «**معلومات صحفية عن علم النفس**» مذعوراً من الدوافع المتناقضة للشباب السعودي ـ يسميهم «**منظمي القنابل الموقوتة**» ـ يذهب برادلي وبتشكك الى ان قابلياتهم لإدامة الشعائر الدينية، يقابلها اندفاعهم، مثلا، للدخول الى المواقع الإباحية في شبكة الانترنيت هو سمة جوهرية للعقل العربي «**تسيّرهم سلسلة دوافع سايكلوجية مترابطة عقلياً يلامس أحدها الآخر دون ان تتداخل**»، هكذا يكتب عن الشباب السعودي مضيفا: «**سلوكهم لايصل الى مستوى الوعي الذاتي بالنفاق، بالاعتقاد بشي وعمل شيء اخر، ذلك لأنّها سلسلة غير متناغمة من المعتقدات، غير قادرين حتى على ادراك يتجاوز وجودها في نفس الوقت**»، يتغاضى برادلي عن حقيقة ان الناس في اغلب المجتمعات يمارسون هذا الضرب ذاته من اللاتناغم

---

١ ـ المنتج للأباحية والمستهلك لها مختلفان، فلماذا لاتكون الوقفة مع الحضارة المشرعة للأباحية و يقف الكاتب مع الإستثناء أن سلوك الشاب السعودي لبعض المحرمات في دينه لايعني تخليه عن أصوله الدينية.

العقلي، لكنه يرى ان الشباب السعودي استثناء لامثيل لوجوده.

■ ■ ■

مفاتيح المملكة ...

سيبقى الوصول الى احتياطيات النفط السعودي الهائلة يشكل جزءاً من الحسابات الاستراتيجية التي تحدّد سياسات الولايات المتحدة تجاه المملكة. توحي برونسن إمكانية ان تتسامح الولايات المتحدة مع ارتفاع أسعار النفط، الذي من المؤكد إن العربية السعودية تسعى اليه لانّه يمكّنها من كبح العصيان داخل البلاد. وتذهب الى ان «**الولايات المتحدة والعربية السعودية مترابطتان بعقد اقلّ سياسة لكنّه عقد صفقة علاقات تجارية**»، فكلا البلدين يسعيان الى زيادة منافعهم الاقتصادية بدون الاضرار بعلاقاتهم الاقتصادية النفعية المهيمنة، وتوحي السيدة برونسن من ان المصالح الأمريكية السعودية لم تعد واسعة كما كانت خلال الحرب الباردة. إلا انّ كلا البلدين يدفعهما القلق المشترك من النفوذ الإيراني في الخليج وعدم الاستقرار في العراق «**ومن المحتمل أنهما يبحثان معا عن سبل لتأسيس عقد استراتيجي**». لبرادلي و برونسن رؤى متناقضة عن كيفية إدارة هذا العقد الاستراتجي، فكلاهما يتفقان على عدم قدرة الحكومة السعودية للتعامل بشكل مقنع مع الدعم المحلي للعنف المسلح، وهذا يشكل بالتحديد امرا متعبا وخطرا. وتشير برونسن الى ان «**تديّن العربية السعودية الذي عرف مرةً من قبله واشنطن على انّه مصدر قوّة، هو اليوم عائق**» وواشنطن هي جزء من المشكلة. فهي وبشكل انتهازي، قد نمّت المليشيات الإسلامية في العقود الأخيرة من الحرب الباردة والصراع في العراق وحرب واشنطن الكبرى على الإرهاب قد جعلتا المشكلة أسوء بشكل كبير، لكن وبدقة وبسبب ذلك الماضي وفقدان

واشنطن لمصداقيتها لكسب حرب الأفكار، فإنّ عبء كبح وامحاق الراديكالية يقع على السعودية. لذا ما الذي يمكن ويجب على واشنطن عمله؟

ليس كثيراً، يقول برادلي **«لأن قدرة الغربي للتأثير** «في السعودية» **هي الى حد كبير محدودة ـ** وفي أفضل الأحوال ـ **كما يذهب، يمكن للمرء ان يشجع التفاهم الثقافي»** أولئك الذين في السلطة عند الغرب سيكونون حكماء، كما يبدو لي، إن اصغوا الى الذين يدافعون عن التغير في الشرق الأوسط، ليس بواسطة الحرب، بل بتوظيف كميات صغيرة من الأموال في مدارس اللغات، والمشاريع الثقافية وتغير البرامج التي ستمكن شباب الشرق من الوصول الى أفضل ما يمكن ان تقدّمة ثقافية الغرب، لكن تلك النصيحة غير فاعلة، فهي تنسف الدور الذي يمكن ان تلعبه واشنطن ويتخطى تشخيص المشكلة على أنها متأصلة ثقافيا **«انّها سياسة»**.

ويتخطى النقطة الاساسية بأنّ الدافعين الرئيسيين للتغير في الشرق الأوسط ليسوا هم المغتربين، المفتونين بالثقافة الأمريكية، بل أولئك القادة المحليين الذين يتصدون وبشكل مباشر والمستمرين بفعل ذلك بلغة تفهم المنطقة. الترياق للتطرف ليس الانغماس الأكبر في القيم الغربية، كما يقترح برادلي، بل المشاركة الكبرى من قبل المسلمين المعتدلين. برونسن، التي تملك فهما أفضل للتحدي الذي يواجه واشنطن، تذهب الى ان على الولايات المتحدة الان ان تقرر إبعاد نفسها عن العائلة المالكة السعودية او ان تشجعها لتتبنى سياسات اكثر اعتدالا. وهي تشجعها للخيار الثاني، وما من شيء يجعل المهمة عصيبة ومعقدة.

ومن المحتمل ان تفشل وحتى ان فشلت، فلن تكون واشنطن في وضع اسوء ممّا هي عليه لو انها ابتعدت عن المملكة وبالتحديد، تذهب برونسن، الى ان شراكة الولايات المتحدة مع السعودية ستعزز الاستقرار في منطقة الخليج،

ويدرج حكومة المملكة في جهود استقرار العراق ويبقيها فاعلة في عملية السلام العربية الإسرائيلية. باعتقاد برونسن الدعوة الى إصلاحات كبرى في السياسات السعودية الداخلية هي **«ذات أهمية ثانوية»** وتقرر بأنّ مثل هذه الإصلاحيات ـ أن تمت برشاقة ـ ستطمئن حلفاء الولايات المتحدة الطبعيين في المنطقة وتساعد في تلطيف النزعة المناهضة لأمريكا التي تخرق المنطقة. لكنها تشك بأنّ الإصلاح السياسي، بالتحديد، يمكن أن يساعد في لجم التطرف: **«المقاتلون الدينيون الدمويون لم يظهروا ببساطة كرد على الحكم الشمولي.... الانفتاح السياسي السريع لن يهدىء عنفهم، انه فقط يفتح فضاء في العملية السياسية».**

رغم أن احتراس برونسن مفهوم ـ في النظرية يمكن للراديكالين الانتفاع من الليبرالية السياسية والهيمنة على النظام السعودي ـ الا انه مفرط، مثلا في انتخابات ٢٠٠٥ للمجالس المحلية لم ينتخب الناخبون في الرياض وجدة، المرشحين الراديكاليين، لقد اختاروا الإسلاميين الأكثر اعتدالا، ، الذين على الأقل ادعوا أنهم مهتمين بخدمة المجتمع بل أن المرشحين الإسلاميين قد خسروا حتى في مدينة بريده، الموطن الروحي للوهابية.

على العموم، كل السعوديين، ان كانوا لبيراليون او لم يكونوا، منتقدين للولايات المتحدة ومن الممكن للناطقين باسمهم، إن وصلوا الى السلطة، أن يتبعوا أجندة مناهضة للولايات المتحدة. لكن من المعقول كذلك ان غضبهم سيخمد أن ضغطت الولايات المتحدة بجدية على العائلة المالكة لتدخلهم في العملية السياسية وأكثر من ذلك، كما يرى برادلي، أن العربية السعودية متجانسة بصعوبة، وانفتاح نظامها السياسي، من المحتمل انه سيخلق امة مركبة ايدولوجيا ودينيا وثقافيا، وكذلك شريكا ذا قيمة مادية ومالية كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية.

▣ ▣ ▣

نهاية ثورة بوش ...

فليب اج كوردن .. معهد بروكلين، «زميل في دراسات الخارجية»

مجلة فورن افيرز ... تموز / آب ٢٠٠٦

العودة إلى الواقعية..

بعد قراءة إستراتيجية الأمن القومي التي قدّمها الرئيس جورج بوش في آذار ٢٠٠٦، سيجد المرء نفسه مدفوعاً لمواجهة الكثير من الأدلة التي تشير إلى تراجع الرئيس كثيراً عمّا أصبح متعارفاً عليه بمذهب بوش. **«أمريكا في حرب»**، تقول الوثيقة، سوف **«نقاتل أعداءنا في الخارج بدلاً من إنتظار وصولهم إلى بلدنا»**، وسوف **«ندعم الحركات والمؤسسات الديمقراطية في كل أمّة وثقافة» لهدف نهائي «إنهاء الطغيان من عالمنا»**.

تحدّث مع أي مسؤول كبير في الإدارة، فإنّه سيخبرك بأن الرئيس ملتزم إلى الأبد بمبادى السياسة الخارجية **«الثورية»** التي أوضحها بعد ١١ سبتمبر: تقاتل الولايات المتحدة في حرب على الإرهاب ويجب أن تبقى مستعدة للعمل لوحدها، قوة الولايات المتحدة هي أساس النظام الدولي، ونشر الديمقراطية والحرية هو مفتاح عالم أكثر أمناً وسلاماً. لكن بوش أعاد ذكر مثل هذا التفكير في خطاب الأمة في ٢٠٠٦، مؤكداً على أن الولايات المتحدة ـ ستقاتل بجسارة

من أجل قضية الحرية ـ و«**ولن نستسلم للشر**»[١].

لكن إنْ كان لبلاغة بوش أن تحيى، فإن ثورته نفسها قد إنتهت. ليست المسألة إن كان الرئيس وأغلب فريقه لايزالون وهم كذلك ـ يحملون العقائد الأساسية لمذهب بوش، إنّما المسألة إن كانوا يستطيعون الإبقاء عليه. وهم لا يستطيعون. رغم إن الإدارة لاتود أن تقر بذلك، إلا إن سياسة الولايات المتحدة قد إتخذت مساراً مختلفاً عما كانت عليه في ولاية بوش الأولى.

فالوقائع السياسية والمالية والدبلوماسية التي حاول فريق بوش إنكارها قد بدأت بالهبوب. إن إنقلاب ثورة بوش لأمر حسن. فبإخفاقها في العراق[٢]،

---

١ ـ لا يخفى على أحد أن غزو العراق جاء بعد أفغانستان، بعد اعلان واشنطن شعار الحرب على الإرهاب الأمر الذي بات واضحا من أن الشرق الأوسط يشكل الهدف المركزي لواشنطن، كما يبدو انها تتحرك ضمن حلقات خاضعة لخطة عمل انتشارية تهدف لابتلاع المنطقة واعادة بناء خارطة الشرق فإنطلقت بمحطتها الأولى من العراق أو قل أن العراق يمثل الهدف الأول والميدان للحرب على الإسلام الذي يرافقه تحذير الأنظمة في تلك المنطقة تحت مسميات الدول المارقة أو الخارجة عن الصف أو الداعمة للإرهاب أو التي تمتلك أسلحة نووية وضرورة أن تتفهم هذه الدول ما تريده واشنطن وما هي النوايا أو المخططات التي تسعى هذه الدول لتحقيقها وعلى الدول أن تقدم التنازلات السياسية، حتى يكون الشرق الأوسط في نهاية الأمر وحسبما تريده أمريكا منطقة تجارة حرة، وبقرة حلوب للنفط، والتسليم من كونها صاحبة التصرف بأي قرار في المنطقة، صرح بهذا الخصوص رتشارد بيرل عن سياسة الإبتلاع الأمريكية وخطتها الشرق أوسطية بقوله: حتى تعني فلسطين إسرائيل والأردن فلسطين والعراق تعني الأردن، وعزز ذلك كسنجر بقوله: إن الطريق إلى إسرائيل تمر في العراق ولكن بواسطة نظرية الحلول العسكرية وقلب الأنظمة وتحويل الخريطة السياسية على أرض الواقع، ونقل الفوضى والزعزعة إلى قلب الدول الممانعة لمصالح واشنطن الأمر الذي يفسر لنا ما يقوله بوش سنقاتل بجسارة ولن نستسلم للشر.

٢ ـ ما المقصود بإخفاق ثورة بوش في العراق قد يكون هذا الكلام من جهة صحيح لكنه من

والإنعزال عن أهم الحلفاء، والسماح للحرب على الإرهاب للتغطية على الأولويات الوطنية، فإن بوش قد قاد الولايات المتحدة لتغوص في مستنقع حرب محققة، تنهك القوات المسلحة وتحطم الخزينة الوطنية. فواشنطن اليوم تفتقد إلى ذخيرة الدعم الدولي والموارد والدعم المحلي الضروري لمواصلة السعي من أجل المصالح الوطنية الرئيسية الأخرى. الوقت ليس متأخراً للعودة

← جهة اخرى قد يكون غير صحيح، فإذا أردنا أن نعرف معنى الإخفاق أو النجاح لابد لنا من الرجوع لمقاييس هي التي تكفل لنا فرز الظواهر وماهو الصحيح منها وما هو الخطأ من هنا يمكن القول بأن ثورة بوش بالقياس إلى أهدافها التي شنت من أجلها أقصد الأهداف الستراتيجية التي تسعى واشنطن لتحقيقها في الشرق الأوسط إذا ما حاكمناها اي الثورة بالمقياس المذكور هنا يكون بوش قد أخفق فعلاً، بالوقت نفسه يمكن لنا أن نقول بأن بوش أخفق بالقياس إلى ما تفكر به وتريده الحكومات والحركات المحلية المناوءة للعراق لأنها ترغب بنظام خلفاً لصدام يؤمن مصالحها وتقبل به أمريكا إلا أن الذي حصل عكر مزاج الحكومات المحلية واثار حفيظتها كما فاجأ واشنطن وولت عناصرها التي هيئتها لتنفيذ المشروع الدير. والحكومة الحالية الغير مرغوب فيها من قوى الظلام والجريمة أفرزها الصراع التاريخي الذي امتد عدة عقود مع الدكتاتور فكانت بحق حكومة وحدة =

= وطنية منتخبة لبت طموحات الشعب العراقي آخرها إعدام الدكتاتور وأنجزت قبل ذلك خطوات جبارة لم تقوى عليها الحكومات المحلية التي إمتعضت من إنجازات المشروع السياسي في العراق يضاف أن المشروع فيه ما يؤهله للصعود بالعراق إلى سلم التطور والسعادة والرفاه والأمن وفق كل ذلك استطاعت الحكومة أن تصنف الساحة العراقية وما يدور فيها من قوى سياسية متصارعة تتلخص في ثلاثة محاور رئيسية الأول:هناك أحلام أمريكية شرق أوسطية، الثاني: وأحلام محلية بعثية وكلا الطرفين يريدان تحقيق أهدافهما من خلال الإرهاب، أما الطرف الثالث وهو الشعب العراقي وحكومته فقد استطاع وبصبر لا مثيل له أن يبلور رسالته للعالم كله بواسطة الحكمة والتحمل وإستخدامه للغة الحضارة والمحبة للإنسانية جمعاء وإبتعادها عن ردود الأفعال العنجهية حتى كشفت الثعالب عن أنيابها وطغى تجار الدماء والنفط على سطح بحر العراق وحضارته الإنسانية وكشف هذا الأداء العملاق عن قدرات العراقيين وعقولهم التي استوعبت عقول الشر والرذيلة.

بالسياسة الخارجية الأمريكية إلى مسار أكثر قدرة على الإستمرار. وقد بدأ الرئيس ذلك فعلياً. لكن هذه التيارات الجديدة والإيجابية في الغالب، ليست أقل قابلية من سابقاتها لأن تنقلب. فهجوم إرهابي آخر على الولايات المتحدة، والتحدي الكبير من إيران، أو إنفجار جديد في التفاؤلية التي في غير موقعها بشأن العراق يمكن أن تجذب الإدارة للعودة إلى مسلكها الثوري ـ مع تبعات كوارثية محتملة.

■ ■ ■

الثورة العرضية ...

إنّها ليست بمفارقة صغيرة أن ترسو سياسة بوش الخارجية عند النهاية المثالية لطيف السياسة الخارجية الأمريكية. وعلى النقيض من الفكرة السائدة بين اليسار وفي ما وراء البحار، بأن فريق بوش قد كان صقورياً وتدخلياً منذ البدء، في الحقيقة كانت إدارة بوش منقسمة بعمق في شهورها الأولى. فقد مالت نحو وجهة النظر الواقعية التي تقول بأن على الولايات المتحدة تجنب التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى. وفي حملته الإنتخابية، فإن بوش قد دعا بشكل ممتاز إلى «**التواضع**» في السياسة الخارجية، قاصداً النقيض من تدخلية رئاسة بل كلنتون، ووعد بالتركيز على ـ المصالح القومية الثابتة ـ أكثر من التركيز على الإنسانية المثالية وحذر المرشح بوش ضد فكرة «**إن قواتنا العسكرية هي الجواب لكل موقف عصي في السياسة الخارجية كبديل للإستراتيجية**».

من غير ريب، تحتوي الإدارة على اللاعبين الرئيسين في معسكر المحافظين الجدد ـ ويشتمل ذلك على نائب وزير الدفاع بول ولفتز، ووكيل وزارة الدفاع دوغلاس فيث، والسفير في وزارة الخارجية جون بولتن ـ الذين

يؤمنون بتشجيع الديمقراطية بالقوة في البلدان الأخرى. لكن اللاعبين الأكثر مركزية بدو أكثر قرباً من واقعية بوش الأب. نائب الرئيس دك جيني، اللاعب الرئيس في إدارة بوش الأب قد عارض إستخدام القوة لقلب نظام صدام حسين خلال حرب الخليج الأولى **«كم علينا البقاء في بغداد؟»** وشكل لوبي ضد فرض عقوبات على إيران، عندما كان مسؤولاً في شركة هاليبرتون في نهاية ١٩٩٠ وزير الخارجية كولن باول كان محترساً وبإمتياز بشأن إستخدام القوة للسعي من أجل تحقيق أهداف السياسة الخارجية وأكد على أهمية قيمة التحالفات. مستشار الأمن القومي كوندليزا رايس ـ التي أصرت على أن دور القوة المحمولة ليس ـ لمرافقة أطفال الروضة ـ قد كانت تحت رعاية إيقونة الواقعية برنت سكوكروفت وفي بيانها للسياسة الخارجية للحزب الجمهوري. الذي نشرته في مجلة فورن أفير كانون الثاني / شباط ٢٠٠٠، كتبت رايس بأن أنظمة مثل العراق وشمال كوريا **«تعيش بزمن مستعار، لذا ليس هناك من حاجة للتفكير بذعر بشأنهما ـ ودعت لأن يكون الخط الأول من الدفاع ـ بيان كلاسيكي واضح من الردع ـ إن كانا يمتلكان أسلحة دمار شامل ـ فإن أسلحتهما ستكون غير قابلة للإستعمال، فأي محاولة لإستخدامها ستجلب فناءً وطنياً»** وكذلك تساءل باول إن كان العراق يمثل تهديداً جدّياً، وإقترح في جلسات تثبيته في الثاني ٢٠٠١، إن سياسة الولايات المتحدة **«الإبقاء على العراقيين في الوضع الجد محطم الذي يعيشون فيه الآن»**. الآن، كيف تحوّلت الولايات المتحدة من هذه الواقعية المحترسة إلى غزو العراق وإلى سياسة خارجية ترتكز على إنهاء الطغيان في عموم العالم؟ الجواب يكمن في وسط ربط فريد لعاملين..

العامل الأول: كان إحساس الأمريكان المفاجيء بالإنكشاف، انهم غير محصنين وعرضة للوقوع بيد الأعداء بعد ١١ سبتمبر، لقد غيرت الهجمات وبعمق

وجهة نظر التفكير الأميركي الدنيوي ـ ليس بسبب انها حصلت على الأراضي الأميركية، ولكن كذلك بسبب قدرة الأمريكان الواطئة للتحمل الناشئة من تاريخ البلاد السعيد نسبياً. فلم يشعر الأمريكان منذ أزمة الصواريخ الكوبية بأي شيء ومهدّد عن بعد لأراضيها كمثل هذا، ذلك ما يجعل الجمهور متقبلاً جدّاً لدعوات ـ عمل شيء ـ بشأن الإرهاب وعندما قتلت هجمات غاز الإنتمراكس خمسة أمريكان وأرهبت الجمهور العام لاحقاً في ذلك الربيع، إستنتج الجميع بأن تغيراً دراماتيكياً في السياسة الخارجية الأمريكية ـ حتى وإنْ هدف ذلك إلى فعل عسكري لتغير العالم مبتدئاً في الشرق الأوسط ـ يمكن أن يعيد الأمن للبلاد. قد يكون الإوربيون وآخرون مروضين أنفسهم للعيش مع مخاطر الإرهاب، لكن الأمريكان ليسوا كذلك، طالما كانوا محميين بالمحيطات والجيران النازعين إلى التأييد والمساعدة.

العامل الثاني: الذي قاد إلى ثورة في السياسة الخارجية الأمريكية هوالشعور بالقوة الفائقة.قد يكون الإحساس بالإنكشاف أمام الأعداء ذلك ما أقنعهم بأن عليهم أن يفعلوا شيئاً لتغير العالم، لكن الشعور بالقوة غير المسبوقة كان ما أقنعهم بأنهم قادرون على ذلك.وبعد الإنشغال بـ«**الإنهيار**» القومي في عجز الميزانية التي إستحوذ عليهم في نهاية الثمانينات، أعقبه عقد من النمو الرائع للإقتصاد والتقدم التقني والنجاح العسكري الذي قاد الأمريكان للإستنتاج في نهاية ٢٠٠١، بأن تغير العالم ممكن، فقط إنْ تعهد قادة البلاد بذلك الهدف. قد يحذر الرافضون داخل البلاد وخارجها من الإخفاق ذلك أنهم لم يدركوا إدراكاً كاملاً ما الذي يمكن لأمريكا العاقدة العزم أن تحقق «**شعور مماثل بالقوة قد كان العامل الفصل في مراحل السياسة الخارجية الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية: النمو الإقتصادي في فترات حكم الرؤساء، هاري ترومان، جون كيندي، رولاند ريغان، وبل كلنتون أفضى إلى دفع الولايات المتحدة إلى الشعور بالثقة والتوسع، بينما القلق بشأن**

العجز في الميزانية والركود دفع بها إلى الإتجاه المعاكس في فترات الرؤساء دوات إيزنهاورد وريجارد نيكسون وجورج بوش الأب»، الربط بين هذين العاملين ـ الشعور بالإنكشاف أمام الأعداء والشعور بالقوة ـ يميل التوازن داخل الإدارة لمصلحة المثاليين ويضع الرئيس ونائب الرئيس بقوة داخل ذلك المعسكر. ذهب زمن مقت التدخلية ومضى كذلك زمن الإحتراس، وحل محلها تصميم لا يلين لجعل البلد أكثر أمناً: أولاً بإستخدام القوة لإزالة تهديدات مثل صدام ومن ثم نشر الحرية والديمقراطية في عموم العالم. وقد نظر، وإلى حد بعيد إلى قبول حلفاء واشنطن الأوربيين أو غيرهم لمنطق الإدارة في هذه القضية كأمر غير أساسي ووفقاً للإدارة، فإن النجاح في العراق والذي شك فيه القليل من كبار الرسميين، سوف يكون له تأثير إيجابي يعم مناطق أخرى من الشرق الأوسط المنطقة، التي سيبدأ خلفاء جدد لواشنطن بالظهور فيها في تلك اللحظة. ويمضي هذا التفكير ليشير إلى أن القيادة الأمريكية مكونة لا من حلفاء متشائمين ومستشارين دوماً، لمعرفة ما الذي سوف يقولونه، بلى من الشروع في مسار جسور، ومتابعة بصرامة للتغلب على الحلفاء من خلال النصر لا الإقناع(١).

■ ■ ■

١ ـ تتحرك واشنطن انطلاقاً من كون عالم توازن القوى عام ١٩١٨ التعددي في إدارة النظام الدولي قد ادى دوره واستنفذ غرضه وانتقل النظام الدولي إلى عالم آخر عالم توزان الرعب عام ١٩٤٥ الثنائي في إدارة النظام الدولي الذي استنفذ غرضه هو الآخر وكلا العالمين قد مهدا لنظام ثالث يطلق عليه عالم الحروب الإستباقية والضربات الوقائية بزعامة واشنطن وتفردها في إدارة العالم وإنطلاقا من منطقة الشرق الأوسط بإعتبارها منطقة اختيار. لأمريكا من أجل صناعة العالم الجديد وقد صرح «بيرل» بالقول أن الحرب التي تقودها أمريكا الآن حرب مصير تحدد مصير أمريكا في النصف الأول من القرن الواحد والعشرين.

الثورة تواجه الواقع..

ما من حاجة للقول، لم يمضِ كل شيء كما خطط له. فبعيداً عن إنجاز التحرير السريع، والإستقرار والديمقراطية للعراق، فإن غزو الولايات المتحدة قد قاد إلى عصيان مطول، وخسائر ذات دلالة في صفوف المدنين العراقيين والجيش الأمريكي، ومخاطر كبرى من حرب أهلية. في وقت سقوط بغداد، نيسان ٢٠٠٣، أظهرت إستطلاعات الرأي أن أكثر من ٧٠ ٪ من الأمريكان يدعمون الحرب، مع أوائل ٢٠٠٦، تشير الإستطلاعات إلى أن الأغلبية قد توصلت إلى أن الحرب قد كانت خطأ. ودعم الحلفاء الذي إفترض بأن ذلك النجاح سيجلبه لم يتحقق.

وعدم العثور على أسلحة الدمار الشامل، تلك التي وفرت ذريعة للحرب ـ والإنطباع الواسع الإنتشار ـ بأن الإدارة قد بالغت بالتهديد من أجل أن تبضع الحرب وقد إنتهكت القانون الدولي بشنها ـ شكلت أسئلة جدية عن مشروعية السياسة الخارجية الأمريكية في العراق وفي آماكن أخرى تبعات الحرب في العراق ـ وسياسات أمريكا حول قضايا أخرى تمتد من الشرق الأوسط حتى تغير المناخ ومعاملة الأسرى ومحكمة الجرائم الدولية ـ قد أخذت جزيتها من شعبية الولايات المتحدة في العالم وبالتالي من قدراتها على كسب الحلفاء. وبدلاً ومن الحصول على: **«عربة الحظ الأوفر»** المأمولة، فإن سياسات القوة الأمريكية الأحادية الجانب قد قادت إلى عداء واسع الإنتشار لإدارة بوش، وفي حالات كثيرة، عداء للولايات المتحدة نفسها.

فوفقاً لإستطلاع المواقف، بين ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٥، فإن النسبة المئوية لجمهور **«النظرة الإيجابية»** للولايات المتحدة قد تراجع من ٧٢ ٪ إلى ٥٩ ٪ في كندا، ٦٣ ٪ إلى ٤٣ ٪ في فرنسا، ٦١ ٪ إلى ٤١ ٪ من المانيا، ٦٠ ٪ الى ٣١ ٪ في أندنوسيا، ٢٥

٪ إلى ٢١ ٪ في الاردن، ٧٩ ٪ إلى ٦٢ ٪ في بولندا، ٦٠ ٪ إلى ٥٢ ٪ في روسيا، ٣٠ ٪ إلى ٢٣ ٪ في تركيا، ٧٥ ٪ إلى ٥٥ ٪ في المملكة المتحدة ووفقاً لنفس الإستطلاع، فالنسبة المئوية لأولئك الذين يعتقدون بأن الولايات المتحدة تأخذ بنظر الإعتبار مصالح بلادهم قد كانت ١٩ ٪كندا، ١٨ ٪ فرنسا، ٣٨ ٪ المانيا، ٥٦ ٪ أندنوسيا، ١٧ ٪ الأردن، ٢٠ ٪ هولندا، ١٣ ٪ بولندا، ٢١ ٪ روسيا، ١١ ٪ اسبانيا، ١٤ ٪ تركيا، ٣٢ ٪ المملكة المتحدة والدعم الدولي لسياسات الولايات المتحدة لم يكن قطْ شرطاً مسبقاً لاجراءاتها كإستعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية، لكنه بالتأكيد لن يضر. بالإضافة إلى الفشل في العراق وإنهيار الشرعية والشعبية في الخارج، فإن شعور وحقيقة حاجة القوة الأمريكية لسياسة خارجية لتغير العالم قد تلاشت كذلك. عندما دخل بوش البيت الأبيض في ٢٠٠١، ورث ميزانية سنوية ذات فائض أكثر من ٢٠٠ مليار، مع دخل سنوات إضافي كبير من الفائض المتخيل. تحت تلك الظروف ليس مفاجئاً أن تستعيد أمريكا الثقة في قدراتها لتغير العالم نحو الأفضل، حتى إن عُني بدعم التدخلات العسكرية في الخارج، والتوسع الهائل في الميزانية الدفاعية لكن بعد الهجمات الإرهابية، وتراجع الإقتصاد، وحربين، والخفض الكبير المتكرر في الضرائب، ولي الشعور، بأن الولايات المتحدة قادرة على تحمل ـ كل ما يتطلب الأمر ـ مع بداية ٢٠٠٦، تحول ٢٠٠ مليار من الفائض السنوي إلى عجز بأكثر من ٤٠٠ مليار في الميزانية، والدين القومي الذي كانت واشنطن قد بدأت في دفعة ١٩٩٩ قد وصلت إلى أكثر من ٨ ترليون. والدعم الداخلي للإدارة ـ شرط مسبق آخر لسياسة خارجية ثورية في الديمقراطية ـ كذلك قد بدأ في التضاؤل. فبعد عدد من الفضائح، والأخبار السيئة من العراق، والمعالجة العاجزة لإعصار كاترينا.

والجدل بشأن صفقة دبي لإدارة الموانيء في الولايات المتحدة فإن تصنيف

بوش الإيجابي قد تناقص إلى دون ٣٥٪ أما نائب الرئيس جيني قد هبط بالضبط ٢٠٪ في بواكير ٢٠٠٦ قال ٥٥٪ من الأمريكان الذين أُستطلعت آراؤهم بأن غزو العراق لم يكن ـ يستحق ذلك العناء ـ وتزايد عدد الأمريكان الذين يعتقدون بأن على الولايات المتحدة التبصر بمصلحتها **«أكثر من أي وقت مضى منذ حرب فيتنام. وفي إستطلاع أجندة ٢٠٠٦، فقط ٢٠٪ من أصحاب الردود وافقوا على نشر الديمقراطية في البلدان الأخرى كان»** هدفاً مهماً جداً للسياسة الخارجية الأمريكية. وذلك ما يمثل أدنى دعم لأي هدف طرح في الإستطلاع. النقطة السوداء في قضية المحافظين الجدد لدعم الديمقراطية والعمل العسكري المنفرد وتلك كانت أنهم دائماً يهملون حدود إرادة الجمهور الأمريكي لتحمل الكلف.

كان لهذه التطورات بشكل حتمي تأثير كبير على قدرة الإدارة لمتابعة السياسة الخارجية التحويلية التي كانت السمة المميزة لفترة بوش الأولى رغم أنّه من المحتمل أن تكون بلاغة الرئيس وجوهر أفكاره لم تتغير إلا ان حقائق الواقع العسير قد بدأت بالرسوخ بوضوح في ذهنه[1].

---

١ ـ يقول بوش في الصفحات السابقة سنقاتل من اجل قضية الحرية ولن نستسلم للشر، كلمات مبهمة أو قد تكون مجهولة عند الذي لم يطلع على الأهداف الأمريكية فسيقاتل مَنْ؟ ولماذا في العراق؟ وماذا يقصد من أجل الحرية؟ فهل هذا الكلام صحيح؟ فهذه لبنان تريد الحرية فلماذا القتال ضد من يريد الحرية، ثم يقول لن نستسلم للشر من الذي يمثل الشر؟ إسرائيل؟ الشعب العراقي؟ اللبناني الإيراني الأفغاني؟ أم هل هم فقراء العالم؟ أوالدول التي تريد الإستقرار والحرية؟ التي أبتليت بطغيان جاءت به امريكا بواسطة حكام المنطقة ومروجو الأفكار الغربية في بلاد الشرق الأوسط.. في قمة الأرض التي انعقدت في «نسبورغ» برعاية الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٢ تقدمت فيها أرقام خيالية منها وجود مليار فقير في العالم لا يجدون ما يسدون به رمقهم و«١٥٠» مليون طفل في حالة خطيرة وكلهم في الدول النامية والفقيرة وان عدد سكان العالم ١،٦ نسمة في حين أقل من ٣٪ من

←

الثورة المضادة ...

لمنهج المعدل للسياسة الخارجية قد كان جلياً مباشرة في اللهجة الجديدة والأسلوب الذي تم تبنيه عند ولاية بوش الثانية. أكدت وزيرة الخارجية المعينة حديثاً كوندليزا رايس في جلسة تثبيتها ـ الآن زمن الدبلوماسية ـ وشرعت مباشرة في رحلة إصلاح العلاقات مع أوربا، حيث أصبح واضحاً كم كلّفت سياسة أمريكا الأحادية الجانب ، ولاحقاً بعد أسابيع ذهب الرئيس نفسه إلى أوربا، باسطاً ذارعيه بأسلوب يتناقض بشدة مع السياسة الأحادية في ولايته الأولى في جولته الأولى إلى أوربا صيف ٢٠٠١، قام بزيارة إلى بولندا، اسبانيا والتي كانت يقودها خوزيه ازنار آنذاك، المملكة المتحدة وايطاليا، مبلغاً هذه الدول ان الولايات المتحدة ستعمل عن كثب مع أصدقائها، لكنها سترفض منتقديها بإزدراء. وفي رحلته الثانية في ٢٠٠٥، أمضى يوم زيارة كامل في زيارة مقرات حلف الناتو والإتحاد الأوربي في بروكسل، وكانت له لقاءات مطولة مع الرئيس الفرنسي جاك شيراك والمستشار الألماني كيراهارد شرويدر. وكذلك يشير جدول رحلة رايس إلى جهود كبيرة لإستمالة الحلفاء أكثر ممّا قبل

← عدد سكانه وهي الدول التي يسكن أحدها بوش يسيطرون على ٨٠٪ من ثروات العالم فلماذا الحرب ضد البلاد الفقيرة؛ وهل المقصود بالشر هم الفقراء والأطفال؟ ولماذا تصرف ملايين الدولارات لوزارة الدفاع الأمريكية والتفوق العسكري؟ وهل ان المقصود بالشر هم أولئك الذين يدافعون عن أنفسهم كالذي فعله حزب الله لبنان بالوقت الذي تقف أمريكا إلى جانب إسرائيل، وإذا كان المقصود بالحرية هو الأداء الذي تطالب من خلاله المعارضة اللبنانية فلماذا تتهم بالإرهاب من قبل الإعلام الأمريكي هذه ثنائية الكبراء والمستبدين تحرك المعايير حيث تتحرك المصالح وهذا نذير تاريخي خطير لأن الحضارة إذا اعتمدت القوة بدأت خريفها والقراءات التي تفضل بها الباحث تكشف عن زيف التخطيط وخداع الشعارات وتضليل الشعوب.

الجمعي باول. في سنتها الأولى كوزير خارجية قامت رايس بـ ١٩ رحلة إلى ٤٩ بلداً، مقارنة بـ ١٢ رحلة إلى ٣٧ بلد لباول في سنته الأولى تقريبا ٧٠٪ من وقت رايس في ٢٠٠٥ في خارج الولايات المتحدة قد أمضته في أوربا.

وقد إنعكست الفخامة والأسلوب الجديد في السياسة الخارجية التي وضعها بوش ورايس معاً لايزال نائب الرئيس ووزير الدفاع في مواقعها وفي نفس المهام لكن الكثير ممن كانوا يقرنون إلى حد بعيد مع ايدلوجية الفترة الفترة الأولى لم يعودوا موجودين. من خرج من قصور الملك هم المحافظون الجدد بول ولفتز، فيث وبولتن الذين أرسل به إلى الأمم المتحدة، موقع مهم لكنه ليس مكان صناع السياسة. بدلاً في ذلك ـ تميّز الفريق الجديد بالبرغماتيين مثل نائب وزير الخارجية روبرت زولك، ووكيل وزير الخارجية نيكولاس بيرنز، والمفاوض في الشأن الكوري كرستوفرهل.

ما هو أكثر أهمية من اللهجة الجديدة والأشخاص الجدد، هو كذلك البدء بتحول في إدارة بوش الثانية. فبعد إنتقاد إرتباط أوربا مع إيران لسنوات والاصدار على أن الولايات المتحدة **«لن نكافىء المسك السيء»** فإن الرئيس قد عاد من رحلة أوربا ٢٠٠٥ وأعلن أن الولايات المتحدة ستدعم **«الترويكا الأوربية»** التي تديرها فرنسا والمانيا والمملكة المتحدة، بل حتى ان الولايات المتحدة قد ألقت ببعض جزرها ـ أدوات إحتياطية للطائرات ودعم مفاوضات منظمة التجارة الدولية ـ في المزيج. في آذار ٢٠٠٥، عندما هددت إيران بإيقاف المفاوضات مع الأوربيين وإستئناف تخصيب اليورانيوم أصرت الولايات المتحدة على وجود وفرة من الوقت للذهاب بالقضية إلى مجلس الأمن، تاركية بعض شركائها الأوربيين متساءلين إن كانت ماضية في ـ التذبذب ـ وفي آذار ٢٠٠٦، أعلنت الإدارة أنها عرضت فتح الحوار مع طهران بشأن العراق، وكان

ذلك تحول دراماتيكي من إصرارها السابق، على أن مثل هذه الخطوة ستضفي شرعية على نظام طهران، وأذعنت إلى الرفض الروسي بعدم إصدار أي شيء أقوى من ـ بيان رئاسي ـ إنتقادي عندما رفعت القضية إلى مجلس الأمن. إعلان بوش في خطاب حالة الإتحاد ٢٠٠٦، القائل بأن الولايات المتحدة ستستمر **«في حشد العالم»** لمواجهة التهديد الإيراني قد كان بعيداً جداً عن إقتراحاته السابقة للطريقة التي سوف تتعامل بها الولايات المتحدة مع طرف من **«محور الشر»**.

وكان هناك تغيير ذو شأن في السياسة اتجاه الأعضاء البارزين الآخرين في ذلك النادي، كوريا الشمالية فبعد إدانتها لإطار عمل إتفاقية إدارة كلنتون لعام ١٩٩٤ وإصرارها على أنها لم توافق على أي شيء مماثل وافقت إدارة بوش في ترتيبات مع بيوغ يانغ في سبتمبر ٢٠٠٥ على أنها سوف تزود كوريا الشمالية وضمانات أمن وتطبيع تدريجي في العلاقات مقابل تخلي كوريا الشمالية عن برامجها النووية العسكرية. بالتأكيد مثل هذا الإتفاق كان يمكن التوصل إليه قبل سنوات لكنه كان محرماً على فريق بوش الأول. رغم ان إتفاقية سبتمبر ٢٠٠٥ قد إنهارت فعلياً، إلا أنها تخبرنا أن إدارة بوش قد كانت راغبة بالتوصل إليها في المقام الأول.

وكذلك أجرى فريق بوش الثاني تغيرات بسيطة فما يتعلق بالمساعدات الخارجية وتغير المناخ في مسعى لقلب الصورة السلبية للولايات المتحدة في العالم. في الفترة التي سبقت قمة الثمان في سكتلاندا، أعلن الرئيس بوش عن نيته لمضاعفة مساعدات الولايات المتحدة إلى أفريقيا بحلول ٢٠١٠، وعن إلتزامة بقديم مبلغ ٢.١ مليار لخطة خمسة أعوام لمكافحة الملاريا في منطقة جنوب الصحراء في أفريقيا. وفي قمّة الثمان نفسها أقرّ بوش بأنّ تغيّر مناخ العالم كان **«مسألة جدّية وملحّة وإلى حدّ بعيد من صنع الإنسان»** وإتّفق على المشاركة مع

البلدان الأخرى في المناقشات ـ عمّا يجب عمله. طبيعياً كان النقّاد ينشدون أن تمضي الإدارة أبعد من كلا القضيتين، لكن دون شك فإن بوش كان يحاول على الأقل إتخاذ خطوة في اتجاه الرأي العام العالمي ـ قضية قد إعتبرتها إدارة بوش الأولى أمراً غيرَ ضروري.

بل إن فريق بوش الجديد قد عدّل في مواقفه تجاه بعض المنظمات الدولية. في ولاية بوش الأولى، أظهرت الإدارة عداوة تامة تجاه غرفة التجارة الدولية ـ إلى خد قطع الإعانات المالية لأي أحد حتى حلفائها الرئيسيين، من الذين يرفضون تقديم إعفاء شامل للمواطنين الأمريكان في شروطها. على النقيض من ذلك، في ولاية بوش الثانية، دعمت الإدارة قرار الأمم المتحدة الذي سيحاكم المشتبه بإرتكابهم جرائم حرب كما في إقليم دارفور ووافقت على إستخدام تسهيلات غرفة التجارةِ الدولية في محكمة الجرائم الدولية لمحاكمة الرئيس الليبيري جارلس تايلى. في شباط ٢٠٠٦، تعهّد الرئيس بوش بدعم الأمم المتحدة لإنهاء المذابح في دارفور، أمر قاومته الإدارة خلال فتراتها الأولى. وفي آذار ٢٠٠٦ عندما وافقت الأمم المتحدة على إنشاء مجلس حقوق الإنسان **«كبديل للجنة حقوق الإنسان»** وهو أمر لم تكن واشنطن راغبة فيه، فإن الإدارة لم تصوت له، لكنها في ذات الوقت تعهدت بدعمه والعمل معه ـ بدلاً من سحب الشرعية منه، كما كان عمل واشنطن، في البدء مع غرفة التجارة الدولية.

أخيراً، أظهرت الإدارة علامات تراجع عن جوهر عقيدة السياسة الخارجية للولاية الأولى، بقرارها، في صيف ٢٠٠٥، إن **«الحرب الدولية على الإرهاب»**، ستعرف من الآن فصاعداً **«الصراع الدولي ضد التطرف العنفي»** والرئيس نفسه قد أخبر الجميع على أنّه لايزال يؤمن بأن الولايات المتحدة تخوض ـ حرباً ـ ورفض الإعتراف بالبلاغة الجديدة، لكن في الحقيقة إن الإدارة قد كانت لحظتها

تفكر ملياً في مثل هذا التغيير ـ وان وزير الدفاع دونالد رامسفيلد قد إستخدم اللغة الجديدة وكان ذلك علامة على أنها قد سلمت ببعض تجاوزات بوش في ولايته الأولى. الآن إرتحلت الإدارة عن مسارها في التأكيد على أنها تعرف انها في صراع «جيلي» وأن عليها أن تفعل الكثير لكسب أفئدة وعقول وتعاطف العالم ـ مهمة وضعت مؤخراً تحت سيطرة واحد من أكثر مستشاري الرئيس بوش إئتماناً - كارل هيوز.

■ ■ ■

مخاطر النكسة..

في الواقع إن إنهيار ثورة بوش ليس أمراً مستغرباً. تاريخياً وسمت السياسة الخارجية الأمريكية بتأرجحات منظّمة وأحياناً عاصفة بين الإنعزالية والعالمية، هذه التأرجحات قد تأثرت بالتغيرات في القدرة على فهم التهديد وكمية الموارد المتوفرة ومستوى الدعم الشعبي، بالضبط كما هي الأوضاع اليوم.

وفقا لذلك، فإن التوجه الجديد لسياسة بوش الخارجية ليس مستبعداً أن يلغى. فعلى الرغم من أن فريق بوش قد أجبرته حقائق الواقع للعمل بشكل أكثر وإلى حد بعيد مع الحلفاء، ووضع عقيدة تغير الأنظمة بالتدخل العسكري جانباً، إلا إن العديد من أعضاء الإدارة لا يزالون يعتقدون بأن التهديد الإرهابي يسمح ـ بل حتى يتطلب ـ للولايات المتحدة أن تعمل تحت قوانين دولية مختلفة عن أي شيء آخر، وذلك ما يحد من درجة تبني الإدارة للإستمرار في هذا التوجه. وأكثر من ذلك، ستستمر شخصيات نافذة داخل الإدارة ـ ليس آخرها نائب الرئيس ـ بالجدال ضد **«البراغماتية الجديدة»** في الحقيقة، جزء من المقدمة المنطقية **«الثورية»** لسياسة بوش الخارجية في ولايته الأولى قد كانت فكرة، تعود إلى إدارة ريغان،

القائلة بأن التصميم والتفاؤل والقوة الأمريكية ستنتصر بالنهاية بغض النظر عمّا قد يؤكده الديمقراطيين ونقاد السياسة الخارجية. أنها أطروحة مريحة لكنها لاتسمح بالمراجعة الذاتية، فهي ستلون أي فقدان للدعم الداخلي أو الدولي كوسام شرف، والإخفاقات الواضحة كنكسات مؤقتة أكثر منها أسباب لتغير المسار. ما الذي قد يدفع بوش لإعادة النظر لمدخله الجديد ويضع سياسة الولايات المتحدة الخارجية ثانياً على مسار أكثر ثورية؟

بالتأكيد هجوم إرهابي كبير على الولايات المتحدة، والذي يبقى ممكناً، يمكن أن يعمل ذلك إن ضربت مدينة أمريكية بهجوم إرهابي كيميائي أو بايلوجي وأدى ذلك إلى خسائر شاملة، الكثير من الأمريكان قد يوقفون على الرأي القائل ان الولايات المتحدة في الحقيقة «**في حرب**» وان الجهود المغامرة للإدارة لـ«**تغير العالم**» «**يستحق ذلك**».

قصف إيران من أجل منعها من إمتلاك أسلحة نووية، من المحتمل أن يبدو طائشاً وغير مثمر لأغلب الأمريكان اليوم، لكن في أعقاب هجوم نووي أو حتى «**قنبلة قذرة**» تقتل عدداً كبيراً من الأمريكان، فإن حساب مخاطر منع الإنتشار النووي تبدو مختلفة. هجوم بأسلحة الدمار الشامل قد يوفّر تبريراً ذا أثر رجعي لحرب العراق، معزّزاً فكرة أن الولايات المتحدة لايمكن لها المخاطرة بعدم الفعل في وجه التهديد الكامن للإنتشار النووي.

وحتى في غياب هجوم إرهابي أخر، فإنّ إيران ـ التي تقول أستراتيجية الأمن القومي الجديدة أنّها تمثل التحدي الأكبر للولايات المتحدة من أي بلد آخر ـ يمكن أن تثير إرتداداً إلى مبدأ بوش الأصلي طوال العامين الماضيين التوجه في الإدارة، قد كان التأكيد على الدبلوماسية والإجماع الدولي، على النقيض من المدخل الذي ميّز سياسة الإدارة تجاه العراق للفترة ٢٠٠٢ إلى

٢٠٠٣. لكن، إنْ فشل هذا المقترب بشكل جلي ـ مثلاً، ظهور أدلة على أن إيران هي فعليا أقرب إلى القدرة النووية العسكرية ممّا اعتقد مسبقاً – حينها بوش قد يواجه قريباً وليس بعيداً الخيار بين الرضوخ إلى إيران النـووية أو إسـتعادة أو إحياء الإستخدام الأحادي للقوة. إلى الآن، فإنّ خيار الإدارة الواضح هو تجنب المواجهة وجعل المجتمع الدولي إلى جانبها. لكن ماذا لو تطلب ذلك إشـتباكـاً مباشراً مع النظام الراديكالي لمحمود أحمد نجاتي وانهاء جـهود الإدارة لتـغير النظام؟ ذلك قد يكون معبراً بعيداً جـدا للإدارة، وقـد يسـتنتج بـوش إن القـوة العسكرية ـ أو تسريع الجهود لزعزعة النظام الإيراني ـ هو السبيل الوحيد لدعم تعهده في ٢٠٠٤ بعدم السماح **«لأخطر الأنظمة في العالم أن يهددنا بأسلحة الدمار الشامل الأشد فتكاً».**

أخيراً، ممكن دائماً أن ينظر إلى التطورات الجديدة على أنها دليل على أن مبدأ بوش كامل فعلياً. مثلاً، تشكيل حكومة عراقية قابلة للحياة متبوع بإنحسار العصيان وتقدم نحو الديمقراطية في أماكن أخرى من الشرق الأوسط يمكن أن يقود الإدارة للعودة ثانية في اتجاه سياسة خارجية حازمة برغم ذلك، ليس بعيداً الانتخابات الناجحة في العراق وأفغانستان والثـورة فـي لبـنان التـي أعـقبها الإنسحاب ـ السوري ونزع السلاح النووي الليبي والخطوات نحو الديمقراطية في أماكن أخرى من العالم العربي، تلك قادت المتحمسين في الإدارة إلى التبجح بشأن نجاحاتهم، حتى ان بعض المراقبين المشككين قد استنتجوا أن بوش قـد يكون فعلاً على صواب. تقدم متجدد مـن هـذه المـناطق، خـصوصاً إنّ جـعل الإنسحاب الأمريكي من العراق ممكن، وتزامن مع طـفرة نـمو فـي الإقـتصاد الأمريكي، يمكن أن يعطي دفعة جديدة إلى فكرة أن الولايات المتحدة العاقدة العزم يمكن لها تغيير العالم وإلى الجدال الجديد لأولئك الذين يعتقدون بأن على

بوش عدم التردد في الترويج لعقيدته. المسار الأكثر إحتمالية هو ان الحقائق العالمية وقيود الموارد ستستمر في دفع الإدارة بإتجاه البراغماتية والتواضع والتعاون مع الحلفاء. وحتى التهديدات والتحديات الجدية من غير المحتمل أن تقنع الأمريكان الذين علمتهم الدروس، بالعودة إلى أنواع من السياسات قد بدأوا في الشك منها: السيناريو الذي به يتساقط الدكتاتوريون مثل قطع الدومينو وتشعر الولايات المتحدة بالغنى والقوة والمنعة، هو سيناريو مرغوب فيه جداً، لكن من غير المحتمل أن يبرز للعيان في أي وقت قريب جداً.

ومع ذلك، سيكون من التهور إستبعاد العودة إلى مدخل أكثر راديكالية خصوصاً من رئيس يعتقد أنّه في مهمة، والذي أثبت مرة بعد أخرى أنّه راغب بركوب المخاطر الكبرى وإدهاش منتقديه. إن حصلت مثل هذه العودة: هيئوا أنفسكم، فليس هناك من سبب للإعتقاد بأن الجولة الثانية من ثورة بوش ستكون أكثر نجاحاً من جولته الأولى، في الحقيقة، بدون موارد وشرعية دولية ودرجة من الدعم السياسي أمضى بوش ولايته الأولى والمحتمل أن تكون الثانية أسوأ بشكل ملحوظ.

الفهرست

Abstract

This book is the Arabic texts of a collection of articles on American political discourse, which appeared in 2006 (except one) {A survey of Islam and the west}, appeared in 2003 in American magazines; The Economist and Foreign Affairs.

They are as follow:

- "A Survey of Islam and the west" The Economist (368-8341, August 2003).
- "Sunnis and Shia" The Economist, 378-8467, (march 2006).
- Jones Toby. "Shifting Sands: The future of U.S-Saudi Relations" Foreign Affairs, (March/April2006).
- Gordon, Philip H. "The End Of Bush revolution" foreign Affairs, 85.3. (July/August).
- Mueller, Joh. "Why Al Qaeda Hasn t Hit U.S Again" Foreign Affairs, 85.5 (sepember/October2006).
- Brown, Carl L. "The Dream of Palace of The Empire:Is Iraq a noble failure?".
- Foreign Affairs, 85.5 (September/October2006).
- Hass, Richard N. "The New Middle East" Foreign Affairs, 85.6. (November/December2006).

مركز أور للدراسات الذي أُفتتح مطلع هذا العام ٢٠٠٧ ، يهتم بالشأن العراقي المعاصر ويهدف الى دراسة قضايا الساعة بأشكالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ساعياً الى نشر النتاجات التي تدعم هذا التوجّه عن طريق إصدار مطبوعاته بشكل دوري .

ويعدُ هذا المركز نافذة علمية وثقافية وأدبية تسهم في احتضان وابراز الطاقات المبدعة التي يتمتّع بها طلبتنا واساتذتنا واصحاب الاختصاصات والكفاءات العلمية ووضع المقترحات والمعالجات المناسبة لها بشكل علمي رصين . .

يرأس هذا المركز الباحث العراقي استاذ كلية الآداب في جامعة ذي قار السيد عبد الرحيم الحصيني . .

ويسرّ المركز ان يقدم للقارئ نتاجه الأول «بوش في أور »

والذي يصدر ضمن سلسلة « مركز أور للدراسات » منطلقاً من مسؤولياته التي تبنّاها لإثراء الرصيد الفكري والمعرفي بالمعلومات الجديدة . . .



مركز اور للدراسات
ourledrasat@yahoo.com

توزيع

بغداد . شارع المتنبي . مكتبة بساتين المعرفة . هاتف : ٠٧٩٠٢٢٧٨٥٥١